الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم

كلية الأدب العربي والفنون

قسم الأدب العربي

تخصص: أدب عالمي ومقارن

مذكـــرة تخـــرج مقدمـــة ضـــمن متطلبات نيـــل شهادة الماستر أكاديـــمي

في الأدب العربي

عنـــــوان المذكـــــرة

الصـورة الفـنيـة لليـهـودي في شعر محـمود درويـش

من إعـداد الطـالب:

- فرحي يحى

بإشراف الأستـاذة:

أ. قاديري جميلة

الأستاذة جميلة قاديري
قسم الأدب العربي
كلية الأدب العربي والفنون
جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم

السنـــة الجـــامعية : 2022/2021

بسم الله الرحمن الرحيم

دعـــاء

اللهم إني أسئلك خير المسألة ، وخير الدعاء ، وخير النجاح ، وخير العلم ، وخير العمل وخير الثواب وخير الحياة ، وخير الممات، وثبتني وثقل موازيني ، وحقق إيماني وأرفع درجتي وتقبل صلاتي وأغفر خطاياي

وأسألك العلا من الجنة

اللّهم لا تدعني أصاب بالغرور إذا نجحت ولا أصاب باليأس إذا فشلت ، بل ذكرني دائما أن الفشل هوالتجارب التي تسبق النجاح.

يا رب إذا جردتني من المال أترك لي قوة العناء حتى أتغلب على الفشل.

وإذا جردتني من نعمة الصحة أترك لي نعمة الإيمان.

وأجعلني من ورثة جنة النعيم

ومن الناجحين.

آمين ياربب العالمين

شكـــر وعرفـان

أتقدم بالشكل الجزيل إلى كل الزملاء والزميلات الذين لقيت منهم كلّ السند والمساعدة بتخصص آلأدب المقارن والعالم

إلى كل السيدات والسادة الأساتذة الذين أشرفوا على تأطير العملية التكوينية لمدة سنتين بنفس التخصص

إلى الفريق التربوي العامل معي بمدرسة بلقاسم بلحلوش الابتدائية على كل المساعدات التي قدموها لي

إلى كل من قدم لي يد المساعدة من أجل أن أواصل الدراسة، و

أتحصل على شهادة الماستر

إلى الأستاذة المحترمة، السيدة قاديري جميلة، الأستاذة المشرفة على رسالة التخرج على إسهاماتها فيّ أن أتخرج هذه الأطروحة في هذه الحلّة البديعة.

إهـــداء

إلى من رحلوا عنّا وفارقونا،وسكتوا تحت التراب، إلى أمّي وأبي، اللهم ارحمهما كما رباياني صغيرا، اللهم اسكنهما الفردوس الأعلى

إلى رفيقة دربي وسندي في هذه الدنيا،زوجتي الغالية

إلى إخوتي وأخواتي: حسنية، رقية، جمعة، فاطمة الزهراء، عائشة، عبد المالك، حمادي، سالم

إلى أبناء إخوتي وأخواتي: هدي، مهدي، عبد الغني، يوسف، آية، محمد

-إلى قرة عيناي أبنائي: عبد الرحيم، محمود، عبد الرؤوف، منصورية، قمر هديل، تسنيم، مرام، قطر النّدى

إلى كل زملائي وزميلاتي الذين لقيت من عندهم المساعدة ومد يد العون والتشجيع

إلى كل الأساتذة الذين رافقوني طيلة سنتين من الدراسة لتحضير شهادة الماستر

إلى الأساتذة المحترمة المشرفة على رسالة التخرج السيدة، أ قاديري جميلة التي أتوجه إليها بالشكر والعرفان على كل المساعدات والتسهيلات التي قدمتها لي من أجل إنجاز رسالة التخرج الموسومة بعنوان:

" **الصورة الفنية لليهودي في شعر محمود درويش**"

المقـــدمـــة

مقدمة

عرف موضوع الصورة الأدبية نقلة نوعية بعد دخوله حقل الدارسات المقارنة، إذ اتسعت مجالاته لتشمل دراسة صورة الآخر، فقد أضحى في العصر الحديث أحد الوسائل التي تساهم في تقصي أهم صفات الآخر وميزاته، وكشف خبايا الكثير من الرؤى الأدبيّة المتعلقة به، ومن أهم تمثيلات الآخر المتطرق إليها في الإبداع الأدبي، صورة اليهودي هذا الأخير الذي تطرقت مختلف الآداب لتصويره في ثنايا إبداعاتها الأدبية، سواءً الأجنبيّة أو العربيّة.

وقد انفتح الأدب الفلسطيني هو الآخر على مثل هذا التصوير، نظرا للحضور القوي لهذا الآخر في حياة الفلسطينيين، وقد تجلت صورته لدى العديد من أدباء فلسطين أمثال حنا أبو حنا وسميح القاسم و فدوى طوقان، وغيرهم ممن صوروا هذا الكيان في أشعارهم ساخرين منه أحيانا وناقمين عليه أحيانا أخرى.

وقد كان هذا الآخر أكثر بروزا في أشعار محمود درويش، ذلك أنّه يعتبر أحد أهم شعائر المقاومة الفلسطينية، هذا الأخير الذي جعلت دراستي حوله وعنونتها بصورة الآخر اليهودي في شعر محمود درويش، مخصصة الدراسة في نماذج من إبداعاته تجلت أساسا في دواوينه عاشق من فلسطين، ولماذا تركت الحصان وحيدا، وحالة حصار.

وقد وقع الاختيار على هذا الموضوع، قصد السعي من أجل تلمس أهم مميزات ومكونات الشخصية اليهودية السلبية منها والإيجابية، والوقوف على

أهم الخصائص النفسية التي طبعت هذا الجنس البشري ضمن منتجات محمود درويش الشعرية، الذي يمثل أحد رواد الأدب العربي الحديث وباعتباره شاعرا فلسطينيا بالدرجة الأولى، ذلك أنه ما إن يذكر الفلسطيني حتى يذكر اليهودي في مقابله.

والسؤال الذي يطرح نفسه في هذا المقام هو كيف صور محمود درويش الآخر

اليهودي في قصائده؟ وما هي أهم الملامح النفسية التي صقل بها هذا التصوير؟ وما صدى تأثير الصر اع اليهودي الفلسطيني في رسم هذه الصورة؟

ولعلي أشير في هذا الصدد إلى مجموعة من الدراسات السابقة التي تناولت الحديث عن صورة الآخر اليهودي، مثل دراسة مي عودة أحمد ياسين في مذكرتها المعنونة بالآخر في الشعر الجاهلي والتي تحدثت من خلالها عن الآخر اليهودي في إبداعات الشعراء الجاهليين، وكذا سعد فهد الذو يخ في دراسته الموسومة بصورة الآخر في الشعر العربي من العصر الأموي حتى نهاية العصر العباسي، والتي تتبع من خلالها صورة الآخر في العصر الأموي وحتى العصر العباسي متناولا في نفس الوقت الحديث عن صورة اليهودي في هذه الفترة، إضافة إلى دراسة طه المتوكل المعنونة بصورة الآخر في الشعر الفلسطيني) 4991،4001 ،والتي بحث في ثناياها عن صورة الآخر التي تمظهرت في مؤلفات الشعر اء الفلسطينيين، متطرقا للآخر اليهودي، إضافة إلى دراسة تهاني شاكر المعروفة بمحمود درويش

نائلا، وقد أفردت الباحثة في هذه الدراسة عنصرا تناولت فيه الحديث عن الآخر في نثر درويش متعرضة للآخر اليهودي والآخر الأمريكي وكذا الغربي، معتمدة في ذلك على التحليل النقدي.

وسأعتمد في مسار بحثي على جملة من المصادر والمراجع أبرزها: كتاب الأدب العام والمقارن لدانيال هنري باجو، والذي قام بترجمته غسان السيّد، إضافة إلى كتاب ماجدة حمود المعنون بمقاربات تطبيقية في الأدب المقارن، فضلا عن كتاب الصهيونية غير اليهودية لريجينا الشريف والذي ترجمه أحمد عبد الله عبد العزيز.

وسأعتمد في هذا البحث الموسوم ب: الصورة الفنية لليهودي في شعر محمود درويش.

على المنهج النفسي الذي يستمد آلياته من نظرية التحليل النفسي، لأنه مفتاح الولوج إلى عالم الشاعر، وآليات النقد الأخرى متى استدعت الضرورة إلى ذلك.

وقد اقتضت طبيعة هذا البحث أن أقسمه إلى مدخل وفصلين: أولهما نظري والثاني تطبيقي.

المدخل : الصورة الأدبية في الأدب المقترن

سأدرس فيه بدايات دراسة صورة الآخر ضمن مباحث الأدب المقارن، سأتطرق من خلاله إلى الحديث عن أهم الوسائل التي ساهمت في تلقي صورة الآخر، كما سأحاول إبراز أهم الحالات التي يمكن أن نفه م

من خلالها الآخر، والتي لم تخرج عن نطاق الصورة الإيجابية وكذا الصورة السلبيّة، كما سأتطرق لإشكالية دراسة الصورة في الأدب المقارن.

الفصل الأول: تمظهرات صورة اليهودي في الآداب الأجنبية والعربيّة.

سأتتبع فيه صورة اليهودي التي حاول أدباء أوروبا نقشها في سجلاتهم الأدبية الشعرية والنثرية، وكذا سأبين الصورة التي تشكلت في الأدب الإسرائيلي عن العربي، مشيرة إلى صورة الآخر التي رسمتها ريشة الأديب العربي الإبداعيّة، كما سأتناول الحديث عن صورة الآخر في الأدب الفلسطيني، مركزة على الآخر اليهودي والأمريكي باعتبارهما يمثلان معا الوصف المناسب والحقيقي للآخر في فلسطين.

الفصل الثاني: تحولات صورة اليهودي في شعر محمود درويش.

سأتحدث فيه عن تحولات صورة اليهودي في شعر محمود درويش، متطرقا للحديث عن أهم التحولات التي خضعت لها صورة اليهودي، كصورة العدو، صورة المنفى، صورة الجندي، صورة السجان، صورة القاتل وكذا صورة المثالي، وكذا أنماط الصورة الشعرية عند محمود درويش.

الملحق: وسيتضمن:

تعريفا بالشاعر محمود درويش، وأهم مؤلفاته وكذا الجوائز التي حصل عليها.

خاتمة: سأجيب فيها عن التساؤلات التي تم طرحها في مقدمة هذا البحث.

وقد اعترضت طريقي– ككل الباحثين–أثناء البحث عدة صعوبات كضيق الوقت وكذا صعوبة التفرج من أجل الحصول على مر اجع من مناطق مختلفة خاصة وعامة.

ولا يسعني بعد هذا التقديم إلا أن أتقدم بجزيل الشكر لأستاذتي المشرفة التي نمت بذرة بحثي على يديها وار تقت من رحيق صبرها، وكذا أتوجه بجزيل الشكر للجنة المناقشة.

المدخل : الصورة الأدبية في الأدب المقارن

أولا: بدايات دراسة صورة الآخر في الأدب المقارن.

ثانيا: وسائل تلقي صورة الآخر.

1. أدب الرحلة.

2. الاستشراق.

3. الترجمة.

4. الحروب.

ثالثا: حالت فهم الآخر.

1. الصورة السلبية.

2. الصورة الإيجابية.

رابعا: إشكالية دراسة الصورة.

كان حقل الأدب المقارن من أهم الحقول، التي سعت لإثر اء العديد من مجالات البحث والدر اسة في الأدب ومز ال، وهو يسعى دائماً للاهتمام بالمواضيع التي من شأنها إثراء الدراسات المقارنة.

ومن أهم المجالات التي جسدت موضوع الصورة خاصة صورة الآخر، التي تع د وسيلة من الوسائل التي تكشف مختلف الرؤى، التي تشكلها مخيلة الأنا للآخر.

فقد حاول الأدب المقارن، على اختلاف اتجاهاته ومدارسه الخوض في غمار هذا المجال، وطرح العديد من الأفكار والملاحظات حوله كما سعى إلى ضبط جوانبه والإشادة بأهميته رغم الصعوبات التي واجهته والانتقادات التي أثارت جدلاً كبيرا حول مشروعيّة دراسة مثل هذا المجال ضمن اهتماماته، فإلى من يرجع الفضل والسبق في نثر البذور الأولى لدر اسة الصورة، وخاصة صورة الآخر في الأدب المقارن؟ وما هي أهم الوسائل التي عملت وساعدت على تلقيها؟

وما هي أبرز الحالات التي يمكن أن نفهم من خلالها الآخر– باعتباره كائنا مغايرا للأنا والنحن–؟ والى أي مدى استطاعت صورة الآخر أو الصورة الأدبية ككل أن ترسي جذورها ضمن اهتمامات الأدب المقارن؟

أولا: بدايات دراسة صَورة اًلآخر فًي اًلأدب اًلمقارن:

حظي موضوع الصورة الأدبية، بمجال كبير من البحث والدراسة وقد غدا في الوقت الراهن مفتاحاً للتعرف على أهم صفات الآخر وميزاته، وكشف خبايا

الكثير من الرؤى الأدبية المختلفة، وقد دخل هذا الموضوع ضمن در اسات الأدب المقارن.

فما هي الملاح الأولى التي تدل على بداية در اسة صورة الآخر في الأدب المقارن؟

عرف (دانيال هنري) DANIEL HENRY كل صورة بقوله : " الصورة تنبثق عن إحساس مهما كان ضئيلاً (بالأنا) مع الآخر و (بهنا) بالمقارنة مع مكان آخر الصورة هي إذن تعبير أدبي أو غير أدبي عن انزياح ذي مغزى بين منظومتين من الواقع الثقافي.[1]

إنّ الصورة حسب هذا المفهوم، هي وسيلة الكشف عن مختلف علاقات الأنا بالآخر، فهي عبارة عن مجهر، يحاول ترصد ممّيز ات ثقافة كل منهما فالأنا والآخر قد وجدا معاً، إذ لا يمكننا أن نتصور الآخر، دون أن نكون واعيين بذواتنا وأنفسنا وملمين بأهم الصفات التي تميّ زنا، فالصورة التي نتصورها عن الآخر تحمل في طيّاتها الصورة الضمنيّة لأنفسنا.

ويعد مصطلح الآخر، مصطلحاً واسع الدلالة، إذ تتسع مفاهيمه ودلالاته، فقد ورد هذا الأخير، في مختلف المعاجم اللّغوية العربية منها معجم لسان العرب) لـ ابن منظور) في مادة أَخَرَ " بمعنى غير، كقولك رجل آخر وثوب آخر" [2] فهو في هذا التعريف يمثل كل ما هو مغاير ومخالف.

---

[1] دانيال هنري باجو، الأدب العام والمقارن، ترجمة غسان السيّد، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سورية، د.ط، 1997 ، ص 97

[2] ابن منظور، لسان العرب، مادة أخر، م 1، دار صادر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2004 ، ص 65 ، لبنان، ط 3

كما ورد ذكر الآخر في القرآن الكريم، قال تعالى: فآخران يقومان مقامهما[1]

ولم يحظ معجم لسان العرب بالفردانية والانفر اد في احتوائه لهذا المصطلح بل نجد له مكاناً آخر، بين ثنايا كتاب العين (للخليل بن أحمد الفراهيدي) في مادة أخَرَ

إذ يَقول " هذا آخر وهذه أخرى "[2]، هذا التعريف يبرز أنه إذا ما تحدثنا عن شيء مغاير بصيغة المذكر قلنا هذا آخر، وان تحدثنا عنه بصيغة المؤنث قلنا هذه أخرى.

أما في المعجم الوسيط: " فإن الآخر أحد الشيئين، ويكونان من جنس واحد قال المتنبي:

ودع كل صوت غير صوتي فإنني

أنا الصائح المحكي والآخر الصدى

وترد بمعنى غير، قال إمرؤ القيس:

إذا قلت هذا صاحب قد رضيته

وقرّت به العينان بُدّلت آخرا[3]

[1] سورة المائدة، الآية 707

[2] الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، تح: عبد الحميد هنداوي ،مادة أخر، م1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت، ص 60

[3] إبراهيم مصطفى وآخرون،المعجم الوسيط، مادة أخر، ج 1، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر ، والتوزيع، استانبول، تركيا، ط2، 1972، ص08

إن هذا التعريف يشترط خاصيّة الجنس الواحد، عند إطلاق كلمة الآخر على أحد الشيئين.

كان هذا تعريف الآخر من الناحية اللّغوية، أما من الناحية الاصطلاحية فلا يمكن تعريف الآخر بمعزل عن الأنا أو الذات،... فإذا كان الغرب هو الأنا، فالشرق بالنسبة إليه هو الآخر، واذا كان الشرق هو الأنا فإن الآخر هو الغرب، واذا كان العالم الثالث هو الأنا، فإن الشرق والغرب معاً، هو الآخر بالنسبة إليه" [1]

إن الآخر من خلال ما ورد في هذا التعريف، يتحدد حسب مكانته وانتمائه القريب أو المخالف لموقع وانتماء الأنا والنحن.

واذا ما حاولنا ولوج بدايات دراسة صورة الآخر في الأدب المقارن نجد أنه فرع حديث، فقد كان وليد ما يعرف بأدب الرحلة، الذي كان المعين الذي تستقي منه الأمم معلوماتهم عن الأمم الأخرى، وبهذا ترتسم صورة للآخر، الذي تحاول الصورة النمطية تجسيده، وهي صورة " اختزالية تجسد صورة الآخر في ذهن الأنا، وهي في الأغلب صورة سالبة وكريهة ومركزة" [2] فالعلاقة التي تجمع الأنا بالآخر هي التي تجعله يشكل في الغالب صورة مشوهة عنه.

[1] يوسف بكار، خليل الشيخ، الأدب المقارن، الشركة العربية المتحدة للتسويق والتوريدات القاهرة، مصر، د.ط، 2008 ، ص 46

[2] يوسف بكار، خليل الشيخ، الأدب المقارن، ص 222

ويعد الأدب سجلاً حاملاً لمختلف الرؤى المتصورة حول الآخر، والشعوب فقد استطاع الأدباء رصد هذه الصورة في أشعارهم وقصصهم، إذ يعدّ كتاب ألمانيا للأديبة الفرنسية (مدام دوستال) صورة حيّة للشعب الألماني إذ أدركت " عبر رحلتها أن الشعب الألماني يتمتع بمناقب جمّة(الطيبة والاستقامة والصدق)، كما فوجئت بجمال الطبيعة لاسيما نهر الر اين والغابة السوداء، وبغنى الأدب الألماني. [1]

على الرغم من الصورة السلبية التي كانت في أذهان الفرنسيين، حول الشعب الألماني، إلا أن (مدام دوستال) استطاعت أن تكشف، وتسلط الأضواء على الجوانب الإيجابية لشخصيتهم.

ولهذا فقد مثل كتابها، البدايات الأولى لدر اسة صورة الآخر وتلت رحلة مدام دوستال، العديد من الرحلات، مثل الرحلات التي قام بها الأدباء الفرنسيون إلى مصر والتي درسها (جان ماريه كاريه j.marie-Carré) في كتابه الرحالة والكتاب الفرنسيون في مصر، إذ بين في كتابه، كيف صور هؤلاء الرحالة مصر وكيف تنوعت صورهم لها على حسب ميولهم وثقافتهم، كما بين ما كان لهم من تأثير في الإنتاج الأدبي لغيرهم من معاصريهم.[2]

فرحلة الفرنسيين إلى بلاد مصر، جعلتهم يعودون بصور عن شعبها تختلف حسب طبيعة ووجهة نظر كل رحالة، وابراز مكانة الشعب المصري لدى الشعب

[1] ماجدة حمود، مقاربات تطبيقية في الأدب المقارن/ دراسة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سورية، د.ط، 2000 ،ص 109

[2] محمد غنيمي هلال، الأدب المقارن، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ط 3 د.ت، ص 111

الفرنسي وأدبائه شملت أيضا إبراز أهم عاداتهم وتقاليدهم، وهذا ما بدا جلياً في أدبهم القومي الذي كان بمثابة المرآة العاكسة للشعب المصري، وصورة مصر كذلك برزت في الأدب الإنجليزي لدى (جيرارد يدي نرفال Gérarde de Nerval.)

إنَّ الروافد الأولى لظهور علم الصورولوجيا (imagologie)كانت لدى الغرب فهم الأوائل الذين قاموا بتصوير مختلف الشعوب الأخرى العربية وغير العربية في آدابهم، فرصدوا بذلك أهم ملامح الآخر، على إختلاف هذه الصور بين صور إيجابية وأخرى سلبية.

والصورولوجيا " تصادف ظهور الوطنيات الأدبية، وانتشار الكتابات الغر ائبية التي تبحث عن ميثية الآخر، كما تكون لديها عبر التاريخ" [1]، فقد كان للتاريخ باع طويل، في إمداد الأدب بمختلف المعلومات التي تخص الآخر، وكذا الرحلات الأدبية، التي حاول فيها الرحالة تصيد صور الشعوب الأخرى من خلال توظيف رموز بدائية تدل عليهم.

ومن هنا فإن الرحلة التي قام بها الغربيون، إلى مختلف البلدان التي تمثل الآخر قد أسهمت بشكل فعّال وبارز، في ظهور الصورولوجيا وقد كان من روادها

[1] سعيد علوش، إشكالية التيارات والتأثيرات الأدبية في الوطن العربي (دراسة مقارنة) ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط 1 ، 1996،ص146

(جان ماريه كاري) وفرنسوا جوست François jost وروني ريمون René remnd ، وجورج اسكولي Georg esascoli وميشال كادو Michel cado[1]، فقد كان لهؤلاء الرحالة، السبق في إبراز البذور الأولى لعلم الصورولوجيا.

إن احتكاك العرب بالغرب، أسهم في بروز العديد من الدر اسات التي تتناول الآخر كما أسهم بشكل فعال في تحريك عجلة هذا المجال لديهم.

وقد أسهم العرب في ازدهار (الصورولوجيا) خاصة لدى الباحثين الذين قاموا بمناقشة مختلف بحوثهم وأطروحاتهم في الجامعات، وهذا ما عزز مجال در اسة الصورة، وقد اعتمدوا في ذلك على مختلف المصادر التي عالجت الصورولوجيا، إذ " نجد اللبناني جوزيف أسعد داغر يناقش في باريس أطروحة حول الشرق في الأدب الفرنسي لما بعد الحرب 1937 ، حيث يحيل فيها الدارس غالبا على المر اجع الفرنسية وهي حقيقة لا يخفيها، بل يجعلها إحدى مرتكزات عمله".[2]

فقد شدّت الكتب الفرنسية اهتمام الباحثين العرب في هذا المجال، لأن الإضاءات الأولى لهذا العلم تجسدت معالمها لديهم، إضافة إلى أن مختلف هذه المراجع قد ساعدتهم في إنجاز مختلف در استهم في هذا المجال، إذ كانت المعين الذي ساعدهم على إرساء دراستهم.

إضافة إلى (جوزيف داغر)، نجد (حسن النوتي) "بعد ما ينيف عن العقد يناقش بباريز، أطروحة حول الشرق الأدنى في الأدب الفرنسي 1953 ،... ويوضح

[1] سعيد علوش، إشكالية التيارات والتأثيرات الأدبية في الوطن العربي ، ص 148

[2] المرجع نفسه، ص 151

حسن النوتي تطور الموضوع في الأدب الفرنسي، منذ بداية الرومانسية إلى حرب 1914[1] ولم يختلف حسن النوتي من ناحية عودته إلى المراجع الفرنسية عن جوزيف داغر، إلا أن معالجته لمثل هذه الصور كانت تميل إلى الإتجاه الأيديولوجي.

أما (مؤنس طه حسين) فقد " شدد على المظهر الإسلامي للصورة حيث يصف في أكثر من خمسمائة صفحة، الرومانسية الفرنسية والإسلام 1961 ، صورة الإسلام في الدول الإسلامية، رافضاً تسميات الشرق الأدنى، والشرق الأوسط، وهي تسميات لا تعبّر عن فكرة الإسلام في رأيه".[2]

وإضافة إلى ما سبق يمكن إدر اج بعض الأطروحات الأخرى للباحثين العرب لبنان منها: «لبنان في الأدب الفرنسي للقرن 19 (لجميل فارس) صورة مصر في الرواية الفرنسية والإنجليزية في القرن 19(لعبد المنعم شحاتة)، صورة المغرب في الأدب الفرنسي،(لعبد الجليل الحجمري)، تونس في الآداب الفرنسية للقرن 19(لعبد الجليل القروي)[3]

إن مختلف هذه الأطروحات جاءت لتعبر عن وعي ثقافي كبير لدى مختلف الباحثين في مجال البحث الصورولوجي، ساهم في إحيائه رواد الجيل الأول من المقارنين الفرنسيين، الذين كان لهم الدور في جعل البحث الصورولوجي عند الجامعيين العرب، يتم عبر نمط ثقافي يخضع لأدلجة وطنية

[1] المرجع نفسه، ص 152
[2] سعيد علوش، إشكالية التيارات والتأثيرات الأدبية في الوطن العربي ، ص 154
[3] المرجع نفسه، ص 155-156

وإسلامية.[1] فقد كا ن للانتماء الوطني والإسلامي أثر كبير في بحوث الصورولوجيين العرب.

ومن هنا فإن اهتمام الغرب والعرب بمجال دراسة صورة الآخر والشعوب والبلاد الأخرى، قد أسهم في إرساء الصورة الأدبية ضمن اهتمامات ومجالات الأدب المقارن .

ولا بدّ من الإشارة إلى أن در اسة الصورة الأدبية "بحاجة إلى دراسات علمية (علم السلالات والتطور الإنساني أي الأنتروبولوجية وعلم الاجتماع، و علم التاريخ ، كما أنه بحاجة إلى دراسات موازية أو بالأحرى شهادات من فعاليات أخرى معاصرة مثل (الصحافة ، الأفلام) [2] لأنه من المستحيل أن يتم ترصد صورة شعب ما أو الآخر دون أن نكون مطلعين على تاريخه، ومدركين لمجالات علم الاجتماع وكذا علم النفس، لأنها من أهم العلوم، التي تساعد على ترصد مثل هذه الصور.

ودراسة الأدب المقارن للصورة قد ارتكزت على عنصرين أو نقطتين هامتين في البحث عن ملامح الآخر، تتمثل الأولى في در اسة صورة بلد من البلدان في عمل كاتب أجنبي مثل«صورة مصر كما رآها الرحالة الفرنسي جير ار دي نرفال، أو إسبانيا كما رآها أمير الشعر اء أحمد شوقي » [3]وهنا يحاول الكاتب

[1] للتوسع ينظر:المرجع نفسه، ص 155

[2] ماجدة حمود، مقاربات تطبيقية في الأدب المقارن، ص 177

[3] الطاهر أحمد مكي، الأدب المقارن، أصوله وتطوره ومناهجه، مكتبة الآداب للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط2 ، 2002، ص318

الأجنبي تصوير ذلك البلد من خلال تجربته الشخصية، ومن خلال معايشته لأهل ذلك البلد.

أما النقطة الثانية، فتتمثل في دراسة صورة بلد من البلدان في أدب بأكمله ومثال ذلك صورة مصر في الأدب الفرنسي، أو صورة إسبانيا في الأدب العربي.

والباحث هنا يهتم بإبراز هذه الصور كاملة، كما تنعكس في مرآة الأدب القومي لأمة من الأمم، إضافة إلى أنّه " غالبا ما تعكس صورة بلد في مجمل أدب خلال تطوره، تغيرات تنتج في الوقت نفسه، عن تطور البلد المرسل والبلد المستقبل[1] فهذه الصور تكشف عن الطابع الفكري وتبرز أهم مجالات التطور والرقي فيه.

وعلى الرغم من أنّ هذه الصور قد « تختلط فيها الحقائق بالمز اعم،... لكن صدى هذه الصور الأدبية في نفوس الشعب عظيم» [2]، إذ إنّ مختلف الشعوب تصدق كل ما ورد في آدابها، حول تصوير البلد والشعوب الأخرى وتؤمن إلى حّد النخاع بصحتها.

ولقد عمل الأدب المقارن على« تحديد ومعرفة صورة الآخر في أدب الرحلات وفي أدب الشعوب، والتي تعترف بإمكانية دراسة الصورة في الأدب وفي الرواية وتقدم بعض الآليات لمقاربتها بمعنى أنّها تحاول استنطاقها ومعرفة خطابها» [3]،

---

[1] بيير برونيل وآخرون، ما الأدب المقارن، ترجمة عبد المجيد حنون وآخرون، دار البهاء،للنشر والتوزيع، قسنطينة، الجزائر، ط 1، 2010، ص107

[2] محمد غنيمي هلال، الأدب المقارن، ص 337

[3] محمد القاسمي، الحسن السعيدي، قضايا النقد الأدبي، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن .د.ط، 4009 ، ص 261

فقد شدِدّ على الباحث في هذا المجال إتباع جملة من الإجر اءات، حتى يثبت صحة هذه الصور من عدمها.

ويمكن القول إجمالاً، إنّ بداية در اسة صورة الآخر في الأدب المقارن، كانت بداياتها وجذورها الأولى لدى الباحثين والأدباء الفرنسيين، الذين مهدوا لظهور هذا الفرع من الدراسات، وحاولوا تتبع مختلف الصور معتمدين في ذلك على المنهج التاريخي؛ أي أنّ بداياته الأولى كانت ذات أصل غربي، ثم انتقلت إلى الباحثين والدارسين العرب، وبهذا عمل الأدب المقارن على التعريف بها، وابراز ملامح ومراحل تطورها، جاعلا منها مجالا من مجالات الدراسات المقارنة.

ثانيا: وَسائل تَلقي صَورة اَلآخر:

يعد اختلاف الثقافات والآر اء، لدى مختلف أجناس البشرية دافعاً إلى وجود وظهور ما يعرف بالآخر، هذا الأخير الذي يظهر في الغالب في صورة مقابلة لصورة الأنا إذ لا يمكن أن تتوحد الثقافة لدى جميع الشعوب على الرغم ممّا يحدث بينها من تلاقح وامتزاج، إذ لكل أمة حضارتها وتاريخها، ومفردات تمّيز شخصّياتها ومجتمعها.

وهذا الاختلاف في الثقافة لا يلغي تأثر الأنا بالآخر والعكس، إلا أن هذا التأثر كان نسبياً، فقد استطاعت معظم الأمم أن تحافظ على أهم المعالم التي تشكل ثقافتها.

وقد حاول الأنا عبر العصور، رسم صورة للآخر المخالف لثقافته ودينه وعاداته وتقاليده، وقد ساعدته في ذلك جملة من الوسائل، فسحت أمامه المجال لكشف

غمار هذا الآخر، واستيعاب أهم مميّز اته وخصائصه، ممّا جعله؛ أي الآخر كياناً مصقولاً بمختلف الرؤى التي دارت ح وله، وهذا ما أكسبه ملمحاً تص ويرياً خاصاً به.

سعى الأنا إلى الوقوف عند أهم بؤر الاختلاف التي تميّز الآخر، فأنتج له ننظر «بذلك صورة تقابل ما يعرف بصورة الذات، التي تمثل صورتنا حين ننظر إلى أنفسنا والتي نعجز عن بلوغها من غير استخدام وسيلة مادية (رسم، تصوير، وصفي، داخلي، خارجي).... فتصوير الذات في الأدب يجري غالباً من خلال المتخيّل.[1]

والسؤال الذي يطرح نفسه في هذا المقام، هو ما هي أهم الوسائل التي ساعدت على تلقي صورة الآخر لدى الأنا؟

إن أهم الوسائل التي ساعدت على تلقي صورة الآخر تجلت أساساً فيما يلي:

1 -أدب الرحلة:

أسهم أدب الرحلة، أو ما يعرف بالرحلات الأدبية، بشكل أو بآخر في إبر از وتلقي صورة الآخر واظهارها، فالرحلات التي قام بها الغربيون إلى بلاد العرب أسهمت في إبراز صورة العرب والمسلمين، والشرق عموماً لديهم، فقد برزت عدّة صور لهذا الأخير، لدى مختلف الرحالة الفرنسيين إذ« انعكست للشرق الإسلامي صور مختلفة في الأدب الفرنسي تبعاً للعصور المختلفة[2]»

[1] لطيف زيتوني، معجم مصطلحات نقد الرواية، دار النهار للنشر، بيروت، لبنان، ط 1، 2002، ص118.

[2] محمد غنيمي هلال، الأدب المقارن، ص 333

فالرحالة الذين ز اروا الشرق في العصور الوسطى، عادوا بصور عنه تختلف عن الصور التي عاد بها أقرانهم في عصور النهضة.

ففي القرنين السابع عشر والثامن عشر «ظهرت له فيها صورة أخرى مخالفة لتلك التي سادت في العصور الوسطى،... وكان لما لقي الرحالة الفرنسيون من كرم الضيافة، وحسن الاستقبال أثناء رحلاتهم في الشرق أثر كبير في إضفاء كثير من الصفات الحميدة على رجال الشرق من المسلمين[1]»

إنّ صورة الشرق في الأدب الفرنسي، تنوعت حسب الزمان والأشخاص الذين قاموا بهذه الرحلات .

وكما كان للشرق حظ من الدر اسة في الأدب الفرنسي، فإن الأدب الإنجليزي كذلك فتح ذراعيه ليحتضن بين طياته صورة للشرق رصدتها (رنا قباني)، في كتابها أساطير أوروبا عن الشرق، حيث وقفت عند «صورة الشرق العربي في أدب الرحالة الإنجليز» [2]، ومن هنا فإنّ الأدبين الفرنسي والإنجليزي، قد صوّرا الآخر الشرقي من خلال اعتمادهما على الرحالة الذين قصدوا أهل الشرق.

والرحلات العربية، كذلك ساهمت هي الأخرى في إبر از صورة الغرب، كما رآها الرحالة العربي، ومن أهم هذه الرحلات، رحلة (ابن بطوطة)، الذي سعى في رحلاته إلى وصف البلاد الأخرى، كما قام بمر اقبة الأسعار ومقارنتها بأسعار بلاده.

[1] المرجع نفسه ، ص 334

[2] يوسف بكار، خليل الشيخ، الأدب المقارن، ص211

كما عمد إلى تصوير مختلف الشخصيّات التي صادفها في رحلاته خاصة الأشخاص المهمين المتمثلين في الأولياء الصوفيين، وصور كذلك السلاطين، إذ صور لنا في رحلته أكثر من سلطان، كسلاطين بني مرين وبني حفص... وملك القسطنطينية... إلا أن السلطان الذي حظي بالاهتمام الأكبر منه، هو السلطان محمد شاه بن تغلق سلطان الهند، الذي وصف بلاطه بكل تفاصيله، فألمّ بالعادات والأعراس والتاريخ، وصوّر شخصيّة السلطان، وكرمه، وتقواه وورعه، وفتكه وبطشه وعاداته في رحيله ورجوعه»[1] فابن بطوطة زار العديد من البلدان وعاد منها من الملامح التي تحمل صفات الآخر وعاداته.

إنَّ رؤية ابن بطوطة للآخر، تميّزت بأنها موضوعيّة، فهو في "تعابيره لا يظهر تعصباً على النصارى واليهود، والمذاهب الدينية الأخرى كالبوذية وغيرها ... فتعابيره تعابير وصفية انطلاقاً من مبدأ معيّن، أكثر ممّا هي مواقف متعصبّة، متزمتة تحتقر الآخر، وتنادي باقتلاعه وقتله "[2] فهو نظر إليهم بعين الإنسان المتزن، لا بعين المتعصّب المنفعل، لقد مثلت رحلة (ابن بطوطة) في القرن الثامن من الهجرة، وسيلة لتلقي صورة الآخر، والشعوب في ذلك الوقت.

وبمرور الوقت وزيادة الاحتكاك بين العرب والغرب، برزت كذلك العديد من الرحلات، خاصة التي كانت وجهتها إلى باريس فقد أقام " (الطهطاوي) في باريز منذ 1826 حتى عام 1831 ، وسجل مشاهدته في تخليص الإبريز في تلخيص باريز، كما أقام (الشدياق) مدة سنتين سجلها في كتابه الساق فيما هو

[1] طلال حرب، رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت، ص 211

[2] طلال حرب، رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار، ص 19

الفارياق، أما (فرانسيس المراش)، فقد سافر إلى باريس عام 1866 وأقام فيها سنتين، وفي هذه المرحلة، كتب رحلة باريس،...وكتب (محمد كرد علي) كتابه غرائب الغرب، إثر رحلته إلى هناك سنة 1910[1]، فهؤلاء من خلال رحلتهم إلى باريس، عادوا بصور عن الإنسان الفرنسي المقيم في باريس.

لقد « كانت الرحلة إذاً هي سر وحدة البشر،... في عصر خلا من وسائل الاتصال الحديثة التي تجاوزت حدّ التصور...على أن ثمار الرحلة لا تتوقف عند التعارف أو صقل الشخصيّة، أو كشف المجهول من طبائع الشعوب، لكنها تجود بالمكاسب العلمية والأدبيّة» [2]، ذلك أن الرحلة مثلت أهم وأقدم الوسائل التي أسهمت في تحقيق الاتصال بين الأنا والآخر، إنها تمثل أبسط الطرق التي أسهمت في شكيل صورة للآخر.

2-الاستشراق:

إنّ مصطلح الاستشراق «قد ظهر في نهاية القرن الثامن عشر، وان كان الاهتمام بالإسلام والحضارة العربيّة الإسلاميّة قد نشأ قبل ذلك بعدّة قرون، في إطار الدراسات اللاهوتية*،...وفيما بعد أسهمت مجموعة من العوامل السيّاسية والاقتصادية في دفع الدراسات الاستشراقية في الدول الأوروبيّة كي تنمو» [3] فقد سعت الدول الأوروبية إلى اكتشاف العالم العربي، قصد تنفيذ مخططاتها الدنيئة

[1] يوسف بكار، خليل الشيخ، الأدب المقارن، ص213

[2] فؤاد قنديل، أدب الرحلة في التراث العربي، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، مصر،ط 2 ، 2002، ص23

[3] هي دراسات تستهدف دراسة الإلاهيات كدراسة المسيحيين لإلاه المسلمين قصد تحقيق أهداف دينية معينة.

في الاستحواذ على ثرواته، فكان الاستشر اق بمثابة الممهّد الأول للمخططات الاستعمارية.

وعلى الرغم من السلبية التي ينطوي عليها الاستشراق، إلا أنّه كان بمثابة المرآة التي عكست صورة الإنسان العربي والمسلم، فتجلت بذلك ملامحه للوافد الغربي إذ أسهمت الدراسات الاستشراقية في بناء صورة للشرق العربي الإسلامي» [1] إذ حظي الشرق بالعديد من الدر اسات استهدفت صورته وصفاته، فقد حاول الغربيون بقدومهم إلى البلاد العربية كتابة در اسات عن التر اث العربي الإسلامي... ودرسوا شخصيّة الرسول عليه السلام، كما قدموا در اسات تاريخية عن بلاد العرب منذ الجاهليّة» [2]فقد اهتم الغرب، بكل الكتب التي ألفها العرب فقرؤوها واستفادوا من مضامينها، وهذا ما أسهم في تطور وظهور بعض الاتجاهات في آدابهم[3].

سعت أغلب الدراسات الاستشراقية، إلى إبراز صورة سلبية عن المجتمع العربي المسلم فقد حاول الغرب « تدجين الشرق بمن فيه، وما فيه لاحتوائه ضمن خارطة النفوذ العالمي للمركزية الغربية بحيث أنشأ له صورة تدبرها ووضعها لنفسه عن غيره ورسخها عبر جهد علمي ومنهجي ضخم لتأخذ مع مرور الزمن ،... صورة الحقيقة المطلقة، صورة اكتست آلية الانتشار والطغيان»[4]، إنّ الاستشراق كان وسيلة من وسائل تلقي صورة الآخر الشرقي

[1] يوسف بكار، خليل الشيخ، ص 215
[2] المرجع نفسه، ص 479
[3] المرجع نفسه ، ص 476)
[4] إبراهيم رماني، المدينة في الشعر العربي، الجزائر نموذجاً 1925- 1962صدر عن الجزائر عاصمة الثقافة العربية، الجزائر، د.ط، 2007 ، ص 252

بالنسبة للغرب، إلا أن مجمل الصور التي رصدها المستشرقون عن الشرق، كانت مشوهة ومغلوطة، إلا أنّ الإنسان الغبي قام بتكريسها داخل مؤلفاته، فظلت موجودة إلى الآن.

3-الترجمة:

لقد كان للترجمة دور كبير في نقل العلوم من لغاتها الأصلية إلى لغات أخرى كما كانت وسيلة لنقل أهم تر اث الحضارات والثقافات الخاصة بمختلف الشعوب فهي «تقوم بدور طيب في التعريف بآثار الأمم الأخرى والأعمال الأدبية الكبرى [1] فلولا الترجمة ما عرفنا أدب أمة ولا اكتشفنا طرق تفكيرها وعيشها»

واضافة إلى أ نها وسيلة لنقل العلوم، فهي كذلك « تشكل وسيلة مهمة من وسائل الاتصال والتأثر والتأثير، فبواسطتها تحدث عملية التفاعل والإخصاب الحضاري»[2]

إذ طالما كانت مصدراً للتلاقح والامتزاج بين الشعوب، فكشفت بذلك عن أهم الثقافات التي تعد المرآة التي تعكس صورة الآخر، فبمعرفة ثقافته وحضارته نستطيع أن نشكل له صورة واضحة المعالم.

إنّ الإنسان العربي قد عرف الترجمة منذ القدم فقد «احتك العرب منذ جاهليتهم بالشعوب الثلاثة المحيطة بهم، وهي الروم في الشمال، والفرس في

[1] طه ندا، الأدب المقارن، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، د.ط،د.ت، ص 32
[2] يوسف بكار، خليل الشيخ، الأدب المقارن، ص 220

الشرق، والأحباش في الجنوب»[1] فلو لم يترجم العرب آثار الرومان والفرس، ما استطاعوا فهم أفكارهم، والإحداثيات التي ترسم ملامح شخصيتهم.

وعرف الغرب العرب كذلك من خلال الترجمة، إذ ترجموا كتاب ألف ليلة وليلة و بورتونRichard Burton قرأ هذا الكتاب، وقام برسم صورة للمر أة الشرقية وللشرقيين عموماً، إذ قال إنهم ماهرون في أمور الجنس، وأنها المهارة الوحيدة التي يعرفونها»[2] إن هذا الحكم الذي أصدره بورتون قاسٍ على الشرقيين، فلو عرفهم حق المعرفة لما خرج بمثل هذا الحكم المطلق عليهم.

وخلاصة القول إنّ الترجمة، كانت ومازالت تمثل« سبيل للحوار الثقافي وتقارب الأفكار وفهم للآر اء، ومنعرج خطير لتفهم لغة الذات ولغة الآخر ،[3] إذ إنها فسحت المجال أمام الإنسان العربي والغربي على السواء لفهم بعضهما ولهذا تعتبر من أهم الوسائل لتلقي صورة الآخر.

4- الحروب:

على الرغم من بشاعة الحروب، وما تتسبب فيه من دمار للشعوب وقتل للنفوس إلا أنها، وسيلة من وسائل معرفة الآخر وفهم عاداته وتقاليده، ومن ثم رسم صورة له، خاصة بين العرب والغرب فالصورة التي «قدمتها أغنية رولاند la chanson de Reland والتي تصور واحدة من المعارك التي حدثت بين

[1] ماجد سليمان دودين، دليل المترجم الأدبي، مكتبة المجمع العربي للنشر والتوزيع، عمان. ، الأردن ، ط1، 2009، ص10

[2] يوسف بكار، خليل الشيخ الأدب المقارن، ص 220

[3] ماجد سليمان دودين ، دليل المترجم الأدبي ، ص10

المسلمين والفرنسيين في عهد شارلمان*، وأثناء الوجود الإسلامي في إسبانيا [1] تمثل أقدم صورة عن الإسلام أو عن الآخر المسلم بالنسبة للغرب الأوروبي، إذ تعد ملحمة رولاند من أقدم الملاحم عبر التاريخ.

ونجد كذلك الصورة التي " تكونت في أوروبا عن البطل صلاح الدين الأيوبي، في أعقاب انتصاره على ملوك أوروبا، في الحروب الصليبية، فقد تكون في الآداب الشعبية الأوروبية، في القرن الرابع عشر موجة من الحكايات الأسطورية في فرنسا واسبانيا وايطاليا، وهي تصور صلاح الدين وقد وصل إلى أوروبا وأرسى سفنه على شواطئ براندي ومنها عبر إلى روما، ثم وصل إلى باريس، حيث استقبلها الأمراء إستقبالاً حافلا"[2]

إنّ الحروب الصليبية أسهمت في رسم صورة أسطورية عن المحارب الفذ (صلاح الدين)، الذي رفع رأس المسلمين بانتصار اته التي أدهشت العدو الصليبي.

إنّ جل الحروب التي حدثت بين المسلمين وغيرهم، جعلت من الإنسان العربي يكون صورة عن الآخر الغربي، فرآه في صورة المحتل والعدو وهذا ما نلمسه في مختلف الكتابات التي رصدت وحشية وقذارة هذا الآخر عبر العصور.

وعموماً يمكن القول إنّ أدب الرحلة والاستشراق والترجمة وكذا الحروب قد مثلت أهم الوسائط التي ساهمت في تلقي صورة الآخر.

---

[1] أحمد درويش، نظرية الأدب المقارن وتجلياتها في الأدب العربي، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، د.ط، 2002 ، ص 26

[2] المرجع نفسه، ص 26

ثالثا: حالات فهم الآخر:

لعل اختلاف الأوضاع التي تسهم في الاتصال ب شعب وأخر هي التي تولد في ذهن الأنا صورا عن ذلك الشعب أو ذاك الإنسان الذي يخالف هويته ويتسم بميزات تخالف م بلدته وأخلاقه، ولا تمت بصلة في الغالب إلى طرق تفكيره وتعاملاته.

ان مجمل هذه الفوارق، هي التي تحمل من الأنا في صدام دائم مع هذا الآخر وهذا ما يدفعه إلى رسم صورة معينة له من خلال حالة الفهم التي كونها وتكونت من خلال السلام، فما هي أهم حالات الفهم التي تتشكل ولي بفهم بها الأنا الآخر؟

على الرغم من تعدد الصور التي يشكلها الآنا للآخر إلا أنها لا تخرج عن نطاق أساسيين هما:

1 - **الصورة السلبية :** إنها في الغالب صورة تحمل وجهات نظر سلبية حول الآخر، فهي صورة سلبية وكريهة، ترسم صورة مشوهة لهذا الأخير، وهي تشكل نتيجة عوامل فكرية واقتصادية واجتماعية

ومثل هذه الصور وردت في الكثير من الرحلات العربية، فرحلة (إدوارد من Edward laneالتي جمعي في كتابه الشهير عادات المصريين المحدثين وتقاليدهم Mannes and Custon of the Modern Egyptions الصادر سنة 1836... وشكل كتابة المرجع الكامل في وصف حياة المسلمين وسلوكهم)[1]

[1] يوسف بكار، خليل الشيخ، الأدب المقارن، ص212

فقد رسم لين رؤية سلبية المعالم للإنسان المسلم والشرق الإسلامي، فهو يتعمق في وصف الآخر المصري، ويبرز ذلك في وصفه لشخصية الشيخ أحمد الذي بصورة ويصفه بأنه مزواج، ومحب للنساء ويشتهي أكل الزجاج. [1]

تجد مثل هذه الصور كذلك لدي (ريتشاربورتون) في رحلته التي جمعها في كتابه ... person narature of Apilgrmage to al» ان رؤية بورتون للشرق متأثرة بألف ليلة وليلة التي ترجمها ... لقد رسم بورتون صورة سلبية ماحنة للمرأة الشرقية لا يعرف مقدار علاقتها بالخيال في ألف ليلة وليلة» [2]، فورتون اعتبر كل ما جاء في كتاب ألف ليلة وليلة، أحداث قد وقعت بالفعل ولم يسير فيها بين الحقيقة والسراب.

وكما رصد الإنسان الأوروبي صورة سلبية للإنسان العربي فإن مؤلفات العرب لم تحل هي الأخرى من مثل هذه الصور مخاصة أن العربي حاول رسم صورة عدائية للآخر العربي، وهذا ما يتجلى في رواية الرحلة الأصعب (لفدوى طوقان)، فهي« تحمل عدائية للآخر، بنيت على النبذ والاحتقار والازدراء، من خلال شخصياتها المحورية الفلسطينية».[3]

إن هذه الرواية تصور الآخر الصهيوني واليهودي الممارس لسلطة القمع على الشعب الفلسطيني، والذي حاول تجريده من هويته، ومسح ثقافته وطمس معالم حضارته.

---

[1] للتوسع ينظر المرجع نفسه ص 212

[2] المرجع نفسه، من 212

[3] العايب خديجة، الأنا والآخر في الخطاب الروائي العربي، موسم الهجرة إلى الشمال للطيب صالح انمونجا، مخطوط مذكرة ماستر، جامعة أم البواقي، 2010- 2011، ص 43

وقد سعى (م فدي زكريا)، في رسم صورة سلبية للآخر الفرنسي على هذا في قصيدته وتعطلت لغة الكلام يقول:

لا الحاملات بطونها مبقورة ذبحت اجنتها وفك حزام

لا والمراضع عرضها أثدائها بفم المسدس والرصاص فطام

والأم يهتك عرضها من وحوش جوع تسمو على اخلاقها الأنعام

وضعت فرنسا في الرذالة بدعة لم تروها الاعصار وهي ظلام[1]

فقد صور (مفدي زكريا) ها المستمر وهو يمارس مختلف أفعاله الشنيعة من قتل للأطفال واعتداء على حرمات النساء.

ان مختلف الصور السلبية التي شكلها الأنا العربي للأخر العربي لم تكن مجرد صور بدانية عبر واعية، عن وعي العربي بواقعه، وإدراكه لمدى خطورة هذا الأخر.

2 – الصورة الإيجابية: وهي صورة مخالفة للصور السلبية، إذ تقرر نظرة إيجابية للآخر، فتبين محاسنه وأهم الصفات النبيلة التي يمتاز بها، إنها ترصد الجانب المضيء والإيجابي، دون الخوض في غمار ذكر السلبيات.

فقد تعبر عن إحدى مواطن الإعجاب والانبهار بالآخر، سواء أكان هذا الانبهار بحص طريقة عيشه أو أخلاقه وسلوكاته، ومثال هذه الصورة ما انطبع في أذهان الفرنسيين عن إعجاب بأحد المواطنين الرومانيين، فقد « صوروا ألمانيا في إبداعهم بلد الحرية الفنية في المسرح والشعر، والحياة المرحة الطليقة،

[1] مفدي زكرياء، اللهب المقدس، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، د ط.2009 ، ص43

والتمتع بملذات الحياة، في كنف حرية رحبة الآفاق» [1] فهذا المواطن الروماني كان يمثل صورة عليا في نظر الفرنسيين.

ونجد كذلك أن (غوته) Goethe قد رسم صورة ذات أبعاد إيجابية، وإن كانت هذه الإيجابية تنطوي على أبعاد رومانسية» [2] ، فالشاعر الألماني (غوته) رسم الشرق الذي يمثل الآخر بالنسبة له وللغرب بصورة إيجابية، تحمل في باطنها مواطنا لإعجاب والانبهار بهذا الأخير .

وقد نظر الإنسان الشرقي إلى الآخر العربي بنظرة إيجابية برزت في مختلف الرحلات التي قادت العرب إلى باريس، أمثال (الطهطاوي) في كتابه تخليص الإبرير في تلخيص باريز و(محمد علي كرد) في كتابه غرائب العرب، إذ عمل هؤلاء على تصوير باريس وسكانها بصور إيجابية، تبرز أهم ملامح الانبهار بثقافتهم والإعداء من العقلية الفرنسية[3].

يبدو أن فهم الآخر لم يخرج عن إطار الصورة السلبية التي تقام في الغالب صورة عدائية للأخر، وكذا الصورة الإيجابية التي تبرز أهم مواطن الانبهار.

رابعاً: إشكالية دراسة الصورة:

لقد صار موضوع الصورة من أهم المواضيع التي أثارت العديد من الإشكاليات خاصة عندما تخلت عن طريق المدرسة الفرنسية حير الدراسة في

[1] الطاهر أحمد مكي، الأدب المقارن أصوله وتطوره ومناهجه، ص319
[2] يوسف بكار، خليل الشيخ، الأدب المقاري، ص218
[3] التوسع ينظر المرجع نفسه، ص213

مجالات الأدب المقارن، ذلك أنها ارتبطت بمجال تصوير الآخر، ومن الإشكاليات التي تدور كذلك حول دراسة صورة الآخر ، فما هي أهم الإشكالات التي وقعت فيها دراسات صورة الآخر، أو ماهي الأسباب التي من صورة الآخر تعد إشكالية في حد ذاتها؟

ان اعتماد المدرسة الفرنسية التي تعد مهد الدراسات في الأدب المقارن على المنهج التاريخي في رصد مثل هذه الصور الأدبية، والتركيز على الجوانب التاريخية في دراسة الصورة، ولد العديد من وجهات النظر المتضاربة.

فهناك من عارض دراسة صورة الآخر ضمن اهتمامات الأدب المقارن مثل الاعتراض «الذي وجهه رينيه ويلك ووافقه عليه كثير من الكتاب الفرنسيين أنفسهم»[1]، حيث إن أسباب هذا الاعتراض تكمن في أن المدرسة الفرنسية ركزت على الجوانب التاريخية في تتبعها لصورة الآخر.

ذلك أن المنهج التاريخي«يوجه قدراً كبيرا من الاهتمام إلى الوسائط والعلاقات التاريخية بين أدب وآخر» [2]، خاصة أدب الرحلة الذي كثرت فيه التأليف والذي يصعب فيه التمييز بين كتابات الأدباء المبدعين وكتابات الهواة.

إن مصدر الاعتراض الأساسي حول دراسة صورة الآخر هو أن مركز الدراسات اهتمامها على الجوانب التاريخية والثقافية وتهمل الجانب الجمالي للأدب»[3]، ذلك أن علم الصورولوجيا تتداخل فيه العديد من العلوم، كالتأريخ

[1] أحمد درويش، نظرية الادب المقارن وتجلياتها في الادب العربي، ص29.
[2] المرجع نفسه، من 29
[3] ماجدة حمود، مقاربات تطبيقية في الأدب المقارن، ص121- 122

وعلم الاجتماع والأنتروبولوجيا وحتى السياسة، مما يجعل الأدب بدراسته لمثل هذه الصور مجرداً من جوانبه الجمالية.

ومن الاشكالات التي تدور لكذلك حول دراسة صورة الآخر أنها تبدي « لنا جزءا من سوء التفاهم الاجتماعي والثقافي، إ ذ أن تقديم صورة الآخر يخضع لنوع معقد من الخيار الفكري المختلط بالمشاعر" [1]، فمختلف الصور التي تعبر عن الا خر تحاول الغاء كيانه في الغالب ، و لكذا لا تحيل على رؤية تتسم بالموضوعية له.

ومجمل القول، إن الخوف من أن تحيد الدراسات المقارنة عن وجهتها الأدبية هو الذي ولد تخوفاً كبيراً واضطراباً حول مشروعية دراسة الصورة ضمن مجالات الأدب المقارن.

وبناء على ما سبق، نجد أن صورة الآخر قد أصلت جدورها ضمن مباحث الأدب المقارن، على الرغم مما وجه لها من انتقادات شككت في مشروعية انتمائها إليه وقد كان لوسائل تلقى صورة الآخر الأثر الكبير في تشكيل مثل هذا النوع من الصور عن الآخر التي اختلفت باختلاف مواقف الأنا منه، والتي أسهمت مختلف العوامل الاجتماعية والنفسية والفكرية في تشكيلها.

[1] ماجدة حمود، مقاربات تطبيقية في الأدب المقارن، ص118

الفصل الأول: تمظهرات صورة الآخر في الآداب الأجنبية والعربية.

أولا: صورة اليهودي في الأدب الأوروبي.

ثانيا: صورة العربي في الأدب الإسرائيلي.

ثالثا: صورة الآخر في الأدب العربي.

رابعا: صورة الآخر في الأدب الفلسطيني.

سعت مختلف الأداب الأجنبية والعربية، عبر مختلف العصور على رسم صورة خاصة بالآخر، تتضمن مختلف التصورات التي يكونها أديب ما، حيال شعب معين أو شخص، يشكل بالنسبة لذاته وأناء آخراً، هذا الآخر الذي قد يكون فرداً أو جماعة، صديقاً أو عدواً، قريباً أو بعيداً، وهو في الغالب قد يمثل نقيضاً حضارياً أو سياسياً أو اجتماعيا أو ثقافياً للأناء.

فبالإضافة إلى تناول المفكرين ووسائل الإعلام والرأي العام موضوع الحديث عن صورة الآخر، فإن الأدب كذلك قد كان له دور ريادي في ترسيخ مثل هذه الصور في أذهان الأفراد، إذ تسعى هذه الصور المختلفة، إلى إبراز الرؤية الإيجابية أو السلبية، التي تتشكل لدي الأديب والمنظمة الإجتماعية التي ينتمي إليها حول الآخر.

تنشأ هذه الصورة بفعل العديد من العوامل، كالحروب أو الهجرات أو مختلف الاحتكاكات التي تحدث بين الأنا والآخر، الذي قد يحمل صفات تتقاطع مع الصفات التي يمتاز بها الأنا أو تختلف عنه، كما أن هذه الصور قد تحيل على نظرة واقعية وصحيحة للآخر، وقد تمثل وجهة نظر مفتعلة، تسعى إلى طمس وتجريد الآخر من كل ملامحه الإيجابية، فكيف أسهمت الآداب الأجنبية والعربية فيرسم صورة خاصة بها عن الآخر؟ وما مقدار مصداقية هذا التصوير؟

أولا: صورة اليهودي في الأدب الأوروبي:

يعد الأدب الأوروبي من أكثر الآداب وأهمها، إذ تعود جذوره إلى العصور القديمة، التي كان الأدب فيها مرتكزاً في الأساس على الملاحم والمسرحيات وغيرها ثم تطور بتطور الزمان والأوضاع التي مر بها عبر العصور ومقتضيات الظروف السائدة في هذه العصور، وبما أن الأدب هو دائماً عبارة عن سجل مؤرخ في الغالب لمختلف الأحداث التي يمر بها الإنسان أو البلدان عبر العصور [1]فإن الأدب الأوروبي كان هو الآخر انعكاساً لمختلف تلك الظروف والأوضاع.

وقد كان للأخر اليهودي، مكان بارز شغل من خلاله حيزاً واسعاً، في مختلف الآداب الأوروبية، بدءاً من العصور الوسطى وحتى العصر الحديث، فماهي صورة اليهودي، التي حاولت مختلف الآداب الأوروبية رصدها في آدابها، وهل كانت صورة إيجابية، أم سلبية؟

تميز الأدب الأوروبي في العصور الوسطى بنوع من الاضطراب السياسي والاجتماعي، إضافة إلى هيمنة الكنيسة على شؤون الفكر والأدب، شما أدى هذا إلى ضالة الإنتاج الأدبي الأوروبي في هذه الفترة، إلا أن هذا لا يعني الغياب التأمل لإنتاج الأدبي نهائياً.

[1] للتوسع ينظر: محمد غنيمي هلال، الأدب المقارن، ص 111

ومن أهم الآداب الأوروبية التي كان لها أثر كبير وأهمية عظمى في العصور الوسطى، الأدب الإسباني الذي كان معظم أفراد شعبه من الذين يتخذون من الديانة المسحية ديناً لهم، يتبعون تعاليمه ولا يخرجون عن مبادئه.[1]

وقد حاول الأدب الإسباني في العصور الوسطى رسم صورة خاصة لليهود تحلت أساساً في صورة الآخر اليهودي في إسبانيا في مقابل الآخر المسيحي الإسباني في العصر الوسيط.

فإذا "كانت العصور القديمة قد شهدت مشاعر يهودية معادية للمسيحية، فإن القرون الوسطى الإسبانية قد قلبت الأدوار "[2]وهذا راجع في الأساس إلى هيمنة وسيطرة الديانة اليهودية في العصور القديمة في إسبانيا إلا أن العصور الوسطى قد غيرت هذه القاعدة فأصبحت الديانة اليهودية منبو ذة بين أبناء الإسبان وحكامهم في الغالب، إذ كان ينظر لليهودي باحتقار وسخرية، ونوع من عدم الراحة والاطمئنان تجاهه.

وتبرر صورة اليهودي في الأدب الإسباني في العصور الوسطى في نهاية القرن الثاني عشر، في مشهد "Rachele vidas" ، ...التي كتبت بين (1195- 1207م) ويروي المشهد قصة احتيال أحد ضباط السيد على يهوديين لاقتراض النقود ليمول بها حربه ضد العرب وفيه يظهر اليهوديان من الطبقة النبيلة فاحشي الثراء إلى درجة أنهما يعيشان في قصر، وتضفي عليهما

[1] للتوسع ينظر، ويكيبيديا الموسوعة الحرةhttp WWWW.wikipedia.org/wiki31

[2] أحلام صبيحات ، الشخصية اليهودية بين سياسة وأدب إسبانيا الوسيطة ، دراسة ، الجامعة الأردنية ، jordan journal of modern languages and literature vol 4no,1, 2012 , P78 2011

الحوارات شخصية المرابي" [1]، فمثل هذه الأنشودة الأدبية قد حاولت رسم صورة كريهة للآخر اليهودي تجلت في صفة المرابي فعقيدة اليهود تقوم على «الكذب والخداع والظلم والغش والريا، والقتل وهتك العرض، وكل وسيلة قبيحة خبيثة في معاملة الأمم غير اليهودية» [2]، إذ إن بعض اليهود يكنون حقداً للأمم التي لا تنتمي إلى الديانة اليهودية.

وتحوي هذه الأنشودة كذلك، مثلا يحيل على صورة إيجابية لليهودي، إذ «يظهر القس في صورة سلبية، مقارنة مع صورة إيجابية للتاجر اليهودي الماهر»[3]، ومثل هذا قد يوحي بأن الآخر اليهودي، قد نظر إليه بعض الإسبان على أنه تاجر ناجح وماهر.

إن صورة اليهودي في أدب إسبانيا الوسطى، قد تجملت صورته الأدبية في معالجة ودراسة «سيكولوجية واجتماعية لشخصية اليهودي... وغلب على بنية الشخصية اليهودية في الأدب الإسباني الوسيط أن يظهر في ثلاثة صور المادية: فهو نبيل وثري ورأسمالي وهو مراب... الدينية: فهو متهم بتسليم المسيح وصلبه حسب التاريخ الديني المسيحي المدون في الإنجيل، وهو معتنق المسيحية مدع وغير صادق وهو خادم للشيطان عابد له بطرائق مخالفة للقانون والدين المسيحي، السيكولوجية: فهو ذكي وداهية ويسيطر على أصحاب القرار بحلاوة لسانه."[4]

---

[1] المرجع نفسه ،ص78.

[2] عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، مكايد يهودية عبر التاريخ، دار القلم، دمشق، بيروت، ط 2، 1978، ص12-3

[3] أحلام صبيحات، الشخصية اليهودية بين سياسة وأدب إسبانيا الوسطية، ص79.

[4] المرجع نفسه، ص 85.

فاليهودي في الأدب الإسباني الوسيط، اشتمل على العديد من الصفات التي حاول الأدب أن يسلط الأضواء عليها، وقد زاوج هذا الأدب الإسباني بين صورة ايجابية لليهودي، تجلت في أنه محنك وتاجر ماهر اقتصادياً فقد ان«البائع اليهودي الجائل معروفا في كل مدينة وبلدة، والتاجر اليهودي معروفا في كل سوق ومولد وكانت التجارة عملا تخصصوا فيه» [1]،وبين صورة أخرى سلبية، تجلت في صورة المخادع والمرابي والقاتل للمسيح عليه السلام.

اما في العصر الوسيط، بالنسبة للأدب الإنجليزي فقد قدم "صورة متقاربة للشخصية اليهودية على اختلاف منابتها ومشاريها، فقد صور الإنجليز ولأجيال مختلفة اليهودي مثالا للشر والبخل، في أعمال خالدة مثل أعمال ماثيو باريس Matthew paris(1200-1259م) وجيفري تشوسر Geoffrey choicer (1340-1400م) [2] »، إن هؤلاء قد رصدوا للآخر اليهودي في العصر الوسيط عدة صور تتسم في الغالب بالنمطية والسلبية.

يضاف كذلك، ما ورد في الأدب الإنجليزي من أعمال أدبية في عصر النهضة، إذ أسهمت الدراما في العصر الإليزابيثي، في تحسيد صورة لليهودي، تحلت في ذكر العديد من الصفات التي كان يمتاز بها في ذلك الوقت.

وخير مثال على ذلك المسرحية التي كتبها (كريستوفر مارلو) Christopher Marlowe (1564-1593)، بعنوان يهودي مالطا Jewof malta،

[1] ول وايريل ديورانت، قصة الحضارة عصر الإيمان الحضارة اليهودية، ترجمة محمد برران، م4/3، دار الجيل للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، د.ط، د.ت، ص61

[2] أحلام صبيحات ، الشخصية اليهودية بين سياسة وأدب إسبانيا الوسطية ، ص69

سنة 1589«في هذه المسرحية يقوم حاكم مالطا بتحصيل الضرائب من اليهود لكن باراباس BaraBas وهو يهودي ثري يرفض أن يدفع ، وهنا تقوم الحكومة بأحد أمواله وبيته جزاء له الأمر الذي يدفعه إلى الانتقام عن طريق ممارسة العنف والقسوة فهو يسم ابنته الوحيدة، ابيجيل Abigail، ويقضي على حياتها العاطفية بالفشل والدمار، ثم يقوم بمساعدة الأتراك عندما يهاجمون مالطة فينتصرون وينصبونه حاكماً لها، لكنه يقرر قتل كل الضباط الأتراك بالخديعة، فهو سيدعوهم إلى تناول الطعام في غرفة سيسقط س قفها عليهم بالحيلة أثناء وجودهم في ال غرفة لكن عدوا له يفشي سره وبدلا من الأتراك ، فإنه نفسه يوضع في قدر ماء يغلي في الغرفة

التي سيسقط سقفها"[1]

إن هذه المسرحية كان بطلها تاجر يهودي يدعى باراباس، وقد جسدت هذه المسرحية هذا البطل في صورة إنسان جشع يحب المال وبأنه مخادع، يرتكب العديد من الجرائم من أجل الوصول إلى تحقيق مآربه وأهدافه.

توالت مثل هذه الصور في أعمال (جون سبيد) Jhon speed(1552 1629) و(وليام شكسبير) William shakspequr (1564- 1616).

إلا أن صورة اليهودي التي مثلث، تعبيراً ضارباً في عمق الشخصية اليهودية قد وردت في مسرحية تاجر البندقية لشكسبير The merchant venice، التي كتبها عام 1596، في هذه المسرحية «يقترض التاجر انتون ى (Antonio) مالاً ليساعد صديقه بشأني (Bassanio) الذي ينوي الزواج من

[1] ج. تورنلي، ج روبرتس، الأدب الإنجليزي من البدايات في القرن السابع عشر إلى ثمانينيات القرن العشرين، ترجمة أحمد الشويخات، دار المريخ للنشر، الرياض، السعودية د.ط، 1990 ، ص 59.

إمرأة غنية وجميلة اسمها بورتيا Portia والذي يقوم بإقراض المال يهودي اسمه شايلوك (Shylock) وهذا يكره (انتونيو)، وإنما يقوم بإقراضه المال بشرط هو أن يدفع انتونيو رطلاً من لحمه في حالة إخفاقه في سداد ديونه في الوقت المتفق عليه، وتتحطم سفن انتونيو التاجر فلا يستطيع سداد ديونه في الوقت المتفق عليه فيطالب شايلوك بحقه، وهو رطل من لحم انتونيو، وتدخل القضية المحكمة وانتونيو يائس.

فجأة تظهر بورتيا في المحكمة متخفية في زي محام، في البداية تحاول بورتيا قلب شايلوك ليكون رحيماً ويعفو ويتنازل إلا أنها تفشل في ذلك، برغم حديثها المشهور عن الرحمة».[1]

حاول وليام شكسبير في هذه المسرحية تصوير اليهودي من خلال عرضه لشخصية شايلوك التاجر اليهودي المرابي، الذي يتحين الفرص من أجل زيادة أمواله بالربا، إضافة إلى ما سبق ونظراً للتطورات السياسية الحاصلة في حياة اليهود وتعرضهم لعمليات الطرد والإجلاء، من مختلف البلدان، بما في ذلك بعض البلدان الأوروبية.

وبفعل هذه المستجدات التي ظهرت على الساحة الأوروبية، أصبحت هناك فكرة شائعة لدى الكثير من الأشخاص في إنجلترا تدعو إلى «ضرورة إعادة فلسطين لأصحابها العبريين في إنجلترا في أربعينيات القرن السابع عشر، وكانت فلسطين قبل ذلك التاريخ تعيش في أذهان المسيحيين على أنها أرضهم المقدسة التي دافع عنها الكثيرون من الإنجليز إبان حملاتهم الصليبية ضد

[1] المرجع نفسه ، ص63.

المسلمين الكفرة»[1]، إذ بعد أن كانت نظرة بعض الإنجليزيين إلى اليهودي نظرة مشبعة بمختلف معاني الازدراء إلا أنه فيما بعد ظهرت بعض الحركات في إنجلترا التي تنادي بضرورة إعادة فلسطين لأصحابها الأصليين وهم اليهود.

تجاوز الإنجليز من خلال دعواتهم هذه المختلفة «أطماع اليهود في السيطرة على العالم وقيادة البشرية ونفسية الاستعلاء التي تتملكهم وادعائهم بأنهم شعب الله المختار» [2]، فالإنجليز لم يراعوا هذا الجانب بل هرعوا إلى محاولة إيجاد حل يتوافق مع مخططاتهم.

ومن خلال هذه الخلفية، فقد سعى الأدب الإنجليزي، إلى رسم صورة تتلاءم مع مثل هذه المستجدات الواقعة في الحياة السياسية الجديدة، والتي تحاول فرس معادلة فلسطين اليهودية.

وتعد قصيدة الفردوس المستعاد Paradise Regained لجون ملتون (John Milton) (1608 –1674)، إحدى النماذج التي تتحدث عن الشعب اليهودي «فقد تحدث عن عودة إسرائيل.... لقد قرر ملتون بشكل واضح أن إسرائيل[3] ستعاد إلى فلسطين، لا عن طريق الفتح، بل بتدخل قوة خارقة، وقصيدة ملتون عقدة النصرانية التي لم تنشر حتى عام 1825، تظهر إيمانه الراسخ بالعصر الألفي السعيد وبإحياء إسرائيل» [4]، ان (منتون)، من خلال هذه

[1] ريجينا الشريف، الصهيونية غير اليهودية جذورها في التاريخ الغربي، ترجمة أحمد عيد الله عبد العزيز، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت، د ط 1985، ص 38

[2] منير سعيد، على طريق الانتفاضة المباركة، معجزة القرن العشرين، مؤسسة الإسراء للنشر قسنطينة، الجزائر، ط2، 1990، ص 14

[3] ج تورنلي، ج روبرتس، الأدب الإنجليزي، ترجمة أحمد الشويخات، ص 87

[4] ريجينا الشريف، الصهيونية غير اليهودية جدورها في التاريخ العربي، ترجمة أحمد عبد الله عبد العزيز، ص 53

القصيدة يشير إلى أن إسرائيل ستعاد إلى فلسطين، عن طريق تدخل قوة خارقة، تقلب الموازين والمعادلات السائدة.

فملتون لم يجد صعوبة في إ براز صورة لليهودي، ذلك أنه اعتمد على بعض الشخصيات التي كانت متواجدة في الخيال الشعبي، كموسى ويوشع وداود ويعقوب واستر، إذ من الملاحظ في الأدب الأوروبي عموماً في القرن السابع عشر والثا من عشر، تفضيل توظيف أسماء أنبياء اليهود على أبطال اليونان[1] فمثل تسمية موسى ويوشع واستر هي عبارة عن أسماء تحيل على بعض الشخصيات اليهودية.

إذ «لا يخفى أن استخدام الأسماء العلم، يسهم في استدعاء صور غنية لدى القارئ الذي يمتلك معرفة بهذه الأسماء، من حيث وجودها وتاريخها وبالتالي مغازيها»[2]، فمثل استخدام هذه الأسماء يحيل القارئ على استحضار بعض الشخصيات وصفاتها، ومن ثم يدرك مقدار التناغم الحاصل من خلال هذا التوظيف.

نجد كذلك (الكسندر بوب)Alexander Pope ، قد تحدث هو الآخر عن ضرورة إعادة فلسطين إلى أصحابها اليهود في قصيدته المسيح.

سلك (وليم وردزورث)William wordshorth ، اتجاها مشابها لسابقيه وهو يعد «شاعراً للطبيعة، وذا مقدرة خاصة في أن يلقى على الأشياء الاعتيادية نوعاً من السحر حينما يقدمها».[3]

[1] للتوسع ينظر المرجع نفسه، ص 53
[2] ج تورنلي، ج روبرتس، الأدب الإنجليزي، ترجمة أحمد الشويخات، ص87
[3] ج تورنلي، ج روبرتس، الأدب الإنجليزي، ترجمة أحمد الشويخات، ص135

فهو يلقي على قصائده نفساً خاصاً ينقلها إلى معان راقية، تنبع من ذلك التوظيف الذكي لعناصر الطبيعة التي تتناسب وموضوع قصائده، ومن قصائده التي تناول فيها الحديث عن صورة اليهودي، «قصيدته أغنية لليهودي المتجول، وأسرة يهودية، ويرد المقطع التالي في القصيدة الثانية:

أختان جميلتان هادئتان وحلوتان

تقفان جنبا إلى جنب كزهرتين

إن نظراتهما التي تأسر الروح تسلب

المسيحي كبرياءه

إن هذا الجمال الذي منحتهما إياه الأبدية

لم يمح عنهما

على الرغم من أنهما ذرية كانت ممقوتة بشدة

ولم تتخلص من الاحتقار

ان حرسا خفيا يبقى ضوءا جبا عليهما

رغم الفقر والإساءة

وهو نابع من الينابيع العبرية

إنه يعطي هذه المجموعة المشتتة

ضوءاً حول الوادي الصغير

في فلسطين، وهو من مجد الماضي

والقدس العزيزة».[1]

[1] نقلا ريجينا الشريف، الصهيونية غير اليهودية جذورها في التاريخ الغربي، ترجمة أحمد عبد الله عبد العزيز، ص65-66

يصور لنا (ويليام) في هذا المقطع، اليهود من خلال السنين التي تعانيان الفقر والحرمان، وهو يرى بأنهما قد بقينا جميلتين رغم المعاناة التي يمر بها الشعب اليهودي، وهو يرى أن خلاص اليهود سيكون على أرض فلسطين.

إضافة إلى أن جورج جورد (Jeorge gordon) المعروف بالورد بايرون (Lord byron) (1788-1824)، قد تناول الحديث عن اليهودي، وقد كانت شخصيته على الصعيد والأدبي وكذلك الاجتماعي، معقدة وساخرة في أن واحد وهو بالنسبة إلى معاصريه صورة الشاعر .. المنعزل، الميال إلى التعامل والمتبع بأهميته الخاصة»[1]، ولهذا فإن اللورد بايرون قد تأمل في قضية اليهود المرتبطة لفلسطين، حيث عبر «عن إعجابه بالعظمة الكامنة في قدرة الشعب اليهودي وتتناول كثير من قصائده، في مجموعته الشعرية الألحان العبرية عام 1815 الأفكار التوراتية والفلسطينيين، وقد جعل خاتمة أشهر قصائد هذه المجموعة وهي بعنوان ابك من أجل هؤلاء.[2]

يبرز (بايرون) في هذه القصيدة « عطفه على إسرائيل وإعجابه بمصيرها كشعب لا وطن له، ويعتبر ذلك شذوذاً تاريخياً ويركز بايرون في قصائد أخرى على الرابطة الأبدية بين فلسطين واليهود» [3] ، إذ توضح هذه القصائد، إعجابه بإسرائيل واليهود وبمصيرهم كشعب ليس له وطن، وهو يعتب ر ذلك نوعاً من الخروج عن المألوف المتعارف عليه، وهو أن لكل شعب وطن يأويه إلا اليهود.

---

[1] مجموعة من المؤلفين ، تاريخ الآداب الأوروبية ، ترجمة صياح الجهيم ، منشورات وزارة الثقافة ، ج.ع.س، دمشق ،د.ط ، ج3 ، ص263.

[2] ريجينا الشريف، الصهيونية غير اليهودية جذورها في التاريخ الغربي، ترجمة أحمد عبد الله عبد العزيز، ص64- 65.

[3] المرجع نفسه، ص 65

يعد كذلك (والترسكوت) sirwalter scott ، الذي لعبت أعماله الروائية: سوراً أساسياً في تطور الرواية الأوروبية في القرن التاسع عشر» [1]، أحد الروائيين الكبار الذين تناولوا الحديث عن اليهود، تجلى ذلك في روايته آيفانهو Ivanhoeالتي حاول من خلالها الحديث عن ""شخصية مثالية للمرأة اليهودية، وهي مخلصة الدفاع عن قومها ودينها وشرفها، كما أنها تعبر بوضوح عن أحاسيس قومها""[2].

إذا (فوالترسكوت)، قد تأثر بالشخصية اليهودية وحاول أن يعبر عنها من خلال رسمه لصورة مثالية للمرأة اليهودية.

تظهر كذلك صورة اليهودي، في شخص العجو ز فاجن الذي يمثل رئيس عصابة يهودي تستغل الأطفال في النشل في مقابل إطعامهم وإيوائهم، وهذه الصورة وردت في رواية أوليفر تويست oliver twist، التي ألفها الأديب الإنجليزي (شالر ديكنز) Chales dicken عام 1837.[3]

تجد كذلك الروائية (جورج إليوت) » Georgeeliot واسم جورج اليوت الحقيقي هو ماري آن ايفانز Mary An Evans ، وقد عاشت خارج انجلترا في أوروبا، في الفترة من 1854 إلى 1878، وتزوجت من ج، وكروس»[4] ، وجون ولتركروس كان أقل منهما بعشرين عاما عند زواجها به.

---

[1] مجموعة من المؤلفين، تاريخ الأداب الأوروبية، ترجمة صياح الجهيم، ج3، ص265.

[2] ريجينا الشريف، الصهيونية غير اليهودية جذورها في التاريخ الغربي، ترجمة أحمد عبد الله عبد العزيز ص65.

[3] للتوسع ينظر: نصر الدين البحرة، نفسية اليهودي في التاريخ، مطبعة دار عكرمة، دمشق سوريا، ط1، 2000، ص40

[4] ج تورنلي، ج روبرتس، الأدب الإنجليزي، ترجمة أحمد الشويخات، ص182

ففي روايتها دانيال ديروندا Daniel Deronda ، ترى إليوت أن الجنس اليهودي هو جنس طيب لا بد من وجوده دائماً، وأنه قد يظهر منه أنبياء ورسل معاصرون.

وهذه الرواية تعد المقدمة الأدبية لوعد بلفور، الذي يدعو إلى إقامة دولة يهودية في فلسطين، وأن فلسطين هي وطن اليهود.[1]

أما في الأدب الروسي فقد نالت الشخصية اليهودية حظها الوافر في النصوص والمقالات والأعمال الأدبية، حيث انتقدت فيها سياستها وتصرفاتها المبنية على الغدر والخيانة والسيطرة والجشع... وخير نموذج على ذلك قصة اليهودي لايفان تور جنيفIvari Turgenev 1818-1883م، والمسألة اليهودية لديستوفيسكي Destoyvsky 1821 -1881م

ان الأدب الروسي في تكررت من خلاله صورة اليهودي ال خائن والكاتب وشرير وهي صفات نمطية تحيل على صورة كريهة للأخر اليهودي، بخلاف ما ورد في الأدب الانجليزي، الذي لم يعبر عن صورة قطعية لليهودي، بل مرج بين صورة إيجابية وأخرى سلبية.

فالإيجابية تجلت في أن الإنسان اليهودي، شخص بارز ويحب أن يعامل باحترام، وأنه يحظى أحيانا بالشفقة بسبب ما يقاسيه من ويلات.

يعد كذلك الأديب الألماني (غوته ولد إفرايم ليينغ ، Gotthold Ephrai Lesing) 1729-1781[2]، الذي كان له أثر في تطور الأدب

[1] للتوسع ينظر ريجينا الشريف، الصهيونية غير اليهودية، ترجمة أحمد عبد الله عبد العزيز مصر، ص 68

[2] أحلام الصبيحات، الشخصية اليهودية في سياسة وأدب إسبانيا الوسيطة، ص 69

الألماني، أحد الدين قاموا بتصوير اليهودي في أعمالهم الأدبية، فروايته ناثان الحكيم Vathan de weise التي ألفها عام 1779، تحكي عن البطل اليهودي ناثان، ففي هذه الرواية يظهر فارس الهيكل المسيحي المتعصب، أدنى منزلة من نا ثن اليهودي الحكيم الذي يطلب منه المسيحي والمسلم النصح والمشورة».[1]

صور (غوتهولد) اليهودي في هذه الرواية، بأنه شخص يمتاز بالحكمة والحنكة إذ إنه في هذه الرواية يبدو في صورة المرشد لكل من المسلم والمسيحي، اللذان يطيران أقل منزلة من اليهودي.

أما الأديب النمساوي المجري، مؤسس الصهيونية السياسية المعاصرة (تيودور مرتزل)(1860- 1904) Theodor Hertzel ، فإنه يقدم صورة لليهودي المتمثل في شخصية ديفيد لوتفيك، الواردة في روايته الأرض القديمة الجديدة التي ألفها سنة 1902، وهذه الصورة تقوم على أكثر من ثنائية، فهذه الرواية تبرر صورة «اليهودي في المنفى با ئساً وقليلا واليهودي في دولة اليهود المزمع إنشاؤها، اليهودي ضعيفاً واليهودي قوياً عاملاً، اليهودي المصري الذي يعيد من منجزات الحضارة الغربية ويسهم فيها واليهودي الكسول الشرقي المتخلف الشحاذ الذي لا بد من الأخذ بيده وتخليصه من عجزه وكسله وأحزانه [2].

[1] ريجينا الشريف، الصهيونية غير اليهودية جنورها في التاريخ الغربي، ترجمة أحمد عبد الله عبد العزيز، ص54

[2] عادل الأسطة، أوراق مقارنة في الأدب الفلسطيني، دراسة، 2009، ص10

فهرتزل يميز بين اليهودي في المنفى وبين اليهودي وهو يحاول إقامة دولة له في فلسطين، دولة يتحول خلالها إلى نموذج جديد، تختلف فيها حياته وطرق عيشه عنا كانت عليه وهو في المنفى.

وخلاصة القول، ان صورة اليهودي في الأدب الأوروبي قد اختلفت باختلاف العصور والبلدان، ووجهة النظر الدينية السائدة في أوروبا، والتي كانت تصف اليهودي بصفات نسيمة أحياناً، وتميل إلى تصويره بذكر محاسنه في مقابل المسلم أحياناً أخرى.

ثانياً: صورة العربي في الأدب الإسرائيلي:

تجلى في الأدب العبري أو الإسرائيلي، الحديث عن العديد من المواضيع، التي كانت لها في الأساس علاقة كبرى بالواقع الذي يعيشه العبريون.

ولما كان الاحتكاك بين العربي واليهودي قائما منذ القدم، فإن الأدب العبري قد سعى إلى تصوير العربي في العديد من مؤلفاته فكيف صور وجسد الأدب العبري العربي في منتجاته الأدبية وما طبيعة هذا التصوير؟

إن نظرة الأدب العبري للأخر العربي، تعود إلى علاقة المشروع اليهودي بالوجود العربي التاريخي في فلسطين، إذ إن عدم تمكن الإسرائيليين من الوصول إلى الحل الأمثل في نظرهم، وهو تفريغ الأرض الفلسطينية من العدو

العربي، والاستئثار بها في ظل الصمود العربي أدى بهذا الأخير إلى طرح حلول أقل ضراوة منذ بداية الصراع.[1]

فقد تصور «اليهود وأعوانهم أن الأمة الإسلامية سرعان ما تدين وترحب بوجود اليهود في فلسطين، ولم يدركوا أن هذه الأمة باق فيها الخير إلى يوم القيامة»[2]، إذ إن كل محاولات اليهود باءت بالفشل فتحولت أحلامهم إلى سراب وهباء، بفعل مختلف الجهود التي قام بها الفلسطينيون، من أجل إيقاف المد اليهودي.

وبالإضافة إلى تلك المحاولات العسكرية نجد في المقابل أن «هناك طوفان من الأدب المجند يقوم على لوي الحقائق التاريخية وتشويه صورة العرب .[3]» ،إذ إن الأدب العبري، يحاول دائماً إسقاط الصراع العربي اليهودي داخل أرض فلسطين في تعامله مع الجنس العربي

وفي ظل هذا الصراع، فإنه ما إن يذكر اليهودي، فإنه يذكر في مقابله الفلسطيني العربي، وقد اختلفت رؤية الإسرائيلي للآخر العربي، ذلك أن صورة العربي، قد فرضت نفسها، على مؤلفات الأدباء الإسرائيليين فرضاً.

والأدب العبري، قد تناول الحديث عن الآخر العربي في العديد من مراحله ففي مراحله الأولى، تناول الحديث عن العربي البدوي وإعجابه بشخصه، ومثل هذا الإعجاب كان بمثابة حيلة من أجل التوحد بالشخص العربي.

---

[1] للتوسع ينظر جيلا رامراز، رايوخ، العربي في الأدب الإسرائيلي، ترجمة نادية سليمان حافظ ايهاب صلاح، محمد فايق، تقديم إبراهيم البحراوي المجلس الأعلى للثقافة، درطه2000، ص3.

[2] منير سعيد ، على طريق الإنتفاضة المباركة ، ص72

[3] احمد فؤاد أنور، تاريخ اليهود من تشويه الأنبياء إلى 11سبتمبر/دراسة، مركز الراية للنشر والإعلام، د طادت س11،44

حيث ذهبت، معظم «المحاولات والكتابات الأدبية بالقول إن بدو فلسطين هم من بقايا، سلالات القبائل العبرية القديمة، اضطروا تحت الضغوط إلى التحول عن اليهودية وتغيير ديانتهم، وبالتالي فإن الانبهار الرومانسي بشخصية البدوي العربي كان تعبيراً عن الرغبة في استلاب صفاته ونسبتها إلى الشخصية الصهيونية في محاولتها زرع وجودها في الأرض الفلسطينية، وخلق صورة جديدة لليهودي تقع في إطار (ابن البلاد)[1].

ومثل هذه الصورة تبرز في قصة عاموس عوزرا، البدوي والأفعى Fomadand viper، التي ألفها عام 1965م.

كما ظهرت صورة العربي في الأدب الإسرائيلي، في فترتين مختلفتين، تمثلت المرحلة الأولى في مرحلة ما قبل تأسيس الدولة اليهودية على أرض فلسطين، أي قبل عام 1948م، وبعد تأسيس الدولة اليهودية.

ففي المرحلة الأولى، أي مرحلة ما قبل تأسيس الدولة اليهودية، ظهرت صورة العربي في الأعمال العبرية «كنموذج نمطي وتعكس اعمال (سميلانكسي) وشامي كثيراً صورة متملقة للعربي، كمتوحش نبيل وتمدح هذه الصور الروح العربية ورفضها للمتع الدنيوية وتأكيدها الولاء للقبيلة» [2]، فالأدب الإسرائيلي كان يرى أن العربي هو عبارة عن إنسان متوحش يجب الحذر منه، إذ تذيع إسرائيل «بين مواطنيها اليهود عقيدة تمييزية في شأن استرداد الأرض،

[1] جيلا رامراز ، رايوخ العربي في الأدب الإسرائيلي ، ترجمة نادية سليمان حافظ ، إيهاب صلاح ، محمد فائق ،ص6

[2] جيلا رامراز ، رايوخ العربي في الأدب الإسرائيلي ، ترجمة نادية سليمان حافظ ، إيهاب صلاح ، محمد فائق ،ص10

والهدف الرسمي الرامي إلى تقليص عدد غير اليهود يمكن ملاحظته في هذه العقيدة التي تغرس في أذهان الطلاب في المدارس اليهودية في إسرائيل» [1]، إذ يمتاز بعض اليهود باتصافهم بعقدة كراهية غير اليهود، ولهذا تنتشر مثل هذه العقائد لديهم، لكن في المقابل يظهر إعجاب الإسرائيلي باستعلاء الشخص العربي، عن الخوض في الرذيلة ومناع الحياة.

كما برزت كذلك صورة سلبية للأفندي الذي يمثل مالك الأراضي لأن مثل هذه الأفكار كانت تخالف المبادئ التي تدعوا إليها الاشتراكية.

وتجلت صورة أخرى للعربي، كانت أقل نمطية في «يوسف حييم بيرني (1881- 1921)، ول.أ.آسري- أورلوف (1886- 1943) قد صوروا العربي في أدوار وشخصيات غير نمطية، وقد أعجب بيرنس بارتباط العرب بالأرض»[2]، إذ كانت أعمال (أرلي) تحوي العديد من الشخصيات العربية، ففي قصة (الصبي يونيا)، يظهر العربي كقديس.

وعلى الرغم من أن مرحلة ما قبل تأسيس الدولة، تحيل نوعا ما على وجود تقارب بين العربي واليهودي، إلا أن مرحلة ما بعد تأسيس الدولة اليهودية، قد تغيرت فيها نوعا ما طريقة إبراز الآخر العربي

فقد أخذ العربي يحتل مكانة أكبر في أعمال الأدباء الإسرائيليين، فمثلاً الرواية القصيرة التي كتبها (أب يهوشواع)، في مواجهة الغابات عام 1963،

[1] إسرائيل شاحاك، التاريخ اليهودي، الديانة اليهودية وطأة ثلاثة آلاف سنة، ترجمة صالح علي سوداح، پيسان للنشر والتوزيع بيروت لبنان، ط1،1995، ص16

[2] : جيلا رامراز، رايوخ، العربي في الأدب الإسرائيلي، ترجمة نادية سليمان حافظ إيهاب صلاح، محمد فايق، ص10

يحاول فيها المؤلف أن يجعل من العربي والإسرائيلي يتشاركان في عمل تدميري، يتمثل في حرق الغابة، الذي يؤدي إلى الكشف عن الآثار العربية القديمة[1].

وقد اعتمد الكتاب الإسرائيليين، في هذه المرحلة على الأساطير والترميز، في وصف الآخر العربي.

وفيما يبدو من خلال ما سبق، فإن رؤية الإسرائيلي للعربي على الرغم من اتسامها بنوع من الازدواجية بين الإيجابية والسلبية، إلا أنها لا تعدو كونها تقدم لنا «الرؤية الأدبية للعربي، باعتباره نقيضاً للمشروع الصهيوني، وعدوا له ولأصحابه فإنه يقدم لنا في الوقت نفسه التضارب الذي تشهده الساحة الثقافية والسياسية الصهيونية حول الحلول المقترحة للتعامل مع هذا العدو العربي» [2] ،ذلك أن طبيعة المعركة مع العرب في نظر الإسرائيليين، لا تعدو كونها حرب عقيدية بالدرجة الأولى، وسعي لإفناء العنصر العربي في فلسطين بالدرجة الثانية.

ثالثاً: صورة الآخر في الأدب العرب

كان الأدب العربي في الماضي وفي الحاضر، الملف الذي حمل هموم وأفراح الشعب العربي، فهو يمثل في الغالب الخلقية الحياتية له، إذ يبرز أهم انشغالاته وقضايا عصره، فهو يعتبر الملاذ الذي يلجؤ إليه الإنسان العربي، ليعبر من خلاله عن أهم الرؤى والأفكار التي تختلج داخل نفسه.

[1] للتوسع ينظر: جيلا رامراز، رايوخ، العربي في الأدب الإسرائيلي، ترجمة نادية سليمان حافظ إيهاب صلاح، محمد فايق، ص12

[2] المرجع نفسه، ص 3.

وتعد صورة الآخر في الأدب العربي، من أهم الموضوعات، التي شغلت حيزاً كبيراً، في مختلف أشعار ونصوص الأدب العربي، والسؤال الذي يطرح نفسه هو كيف استحضر الأديب العربي الآخر في نصوصه؟، وكيف كانت رؤيته تجاهه؟

تعد شخصية الإنسان العربي شخصية حيوية، فقد اتصل منذ القديم بالعديد من الأمم، إذ إن مختلف الاشتباكات التي حدثت بين الإنسان العربي وغيره من الشعوب الأخرى، بفعل العديد من العوامل المختلفة، جعلت منه يشكل رؤية خاصة به عن هذا الآخر الذي يستل «مرأة الذات التي تعكس صورها المتلاحقة، بل إن الصورة المثلى التي ترسمها الذات للآخر، هي نفسها الصورة التي تحاول رسمها وهي تعيد كتابة تاريخها وتاريخ الآخر بوصفه علامة على الحضور»[1]، فمقدار حضور الآخر في حياة الذات أو الأنا، هو الذي يجعل منها تشكل صورة معينة حوله، ترتبط بمختلف الظروف التي جمعت بينهما.

ففي العصر الجاهلي نجد حضوراً قوياً للآخر في حياة الإنسان العربي وهذا ما يبرز جلياً، في العديد من أشعار الأدباء العرب، إذ أسهمت مختلف الوسائل البدائية البسيطة، كالتجارة والحروب وغيرها في حدوث احتكاك بينه وبين العديد من الأقوام الأخرى.

كان الآخر في العصر الجاهلي يتمثل أساساً في الآخر العرقي، والآخر الديني، أما الآخر العرقي فـ «هو كل من يختلف مع الذات من ناحية العرق، أي أن الآخر العرقي هو انتماء المجموعة إلى طائفة أو شعب يختلف عن الشعب

[1] عبد القادر الغزالي، الصورة الشعرية وأسئلة الذات، قراءة في شعر حسن نجمي، دار الثقافة، مؤسسة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، ط1، 2004، ص 159.

الآخر»[1]، فالآخر العرقي هو كل من يختلف عن الأنا أو طائفة معينة، في العديد من الصفات الجسمية والخلقية، فالعرق يجعل من أمة تتصف بصفات جسمية وخلقية، تجعل منها جنساً متميزاً عن بقية الأجناس.

"وقد تعددت القوميات والأجناس في الجزيرة العربية، التي كان لها حضور بارز واحتكاك مع العرب نذكر منها الفرس، الروم، والأحباش والنبط والهنود» [2]، إذ يعد هؤلاء هم أقرب الأجناس احتكاكاً واختلاطاً بالعرب، وهذا ما أدى بالعربي إلى تشكيل صورة مميزة خص بها هذا الآخر العرقي.

وقد اختلف مستوى ذكر الآخر، لدى الشعراء الجاهليين فمنهم من ذكره كثيراً ومنهم من ذكره قليلاً، وكان ذلك يتراوح حسب الاتصال بهذا الآخر، ومهما كانت هذه العلاقات التي تشكلت بين العربي وغيره من الأقوام، فإن صورة الآخر عند العربي في العصر الجاهلي «لم تكن صورة للخصم أو العدو بل نظروا إليه بوصفه طرفاً يتم التحاور معه، وبذلك فإن العربي لا ينفي وجود الفرس أو الروم أو غيرهم بل يعترف بهم، وهو حريص دائماً على وجودهم من أجل إبراز شخصيته وتنامِيها[3]»، إذ كان هناك نوع من التقبل للأخر في العصر الجاهلي حتمته مختلف ظروف الاتصال والتعايش انذاك.

[1] مي عودة أحمد ياسين، الآخر في الشعر الجاهلي، مخطوط مذكرة ماجستير، جامعة النجاح العليا، نابلس، فلسطين، 2006م، ص30

[2] المرجع نفسه، ص30.

[3] مي عودة أحمد ياسين، الآخر في الشعر الجاهلي، ص 58

وكما كان للآخر العرقي حضوراً في أشعار الجاهليين، فإن للآخر الديني حضوراً وافراً في أشعارهم، فالآخر الديني هو كل من يخالف طائفة معينة في دينه وعقيدته، وأشهر هؤلاء لدى العرب الجاهليين اليهودي والنصراني.

وقد تجلت صورة اليهودي في أشعار الجاهليين بأنها ""صورة تاجر الخمرة المحتكر، وهو إنسان مراب أيضاً، يقرض الناس المال من أجل الحصول على أراضيهم، إضافة إلى أنه إنسان مكروه وغير مرغوب فيه ""[1]، فاليهودي في ذلك الوقت كان يعتنق عقيدة تختلف عن العربي، فهو إنسان يدين بالتوراة .

يضاف كذلك أن الشعر الجاهلي قد حوا صورة للآخر النصراني التي تجلت أساساً في صورة «الراهب المنقطع إلى العبادة، الذي يجلس في الدير من أجل العبادة والتسبيح... ولم ينظر العرب إلى النصارى نظرة سلبية كما نظروا إلى اليهود وقد كان العرب في الجاهلية ينظرون إلى الديانتين السماويتين، بقليل من الارتياح ولا يرون فيها مثلهم الأعلى في الحياة» [2]، فأغلب شخصية كانت تشد اهتمام العرب في الآخر النصراني هي شخصية الراهب، الذي كان يمارس ويتميز بالعديد من الصفات التي تختلف عن ممارسات وصفات الشخص العربي، وقد كانت نظرة العربي إلى النصراني أقل سلبية من نظرته لليهودي.

ازداد اتصال العرب بغيرهم، خاصة بطهور الإسلام الذي كان يدعوا إلى التعارف بين الشعوب، فالإسلام عزز مفهوم الاعتراف بالآخر، إذ إنه يرى بأن "التعدد في المخلوقات، وتنوعها سنة الله في الكون وناموسه الثابت، فلكل شيء في هذا الخلق طبيعته وخصائصه وصفاته التي تقارب غيره أحيانا، وتتنا في

[1] المرجع نفسه، ص66

[2] المرجع نفسه، ص74

عنها في أحايين أخرى، وهكذا فطبيعة الوجود في الكون، أساسها التنوع والتعدد»[1]، ولهذا فإن البشرية جمعاء تنقسم إلى أجناس مختلفة وطبائع شتي، أسهمت الفتوحات الإسلامية هي الأخرى في زيادة احتكاك العرب بغيرهم، وهذا ما مكنهم من ملاحظة ومعاينة الآخر عن قرب والاتصال به.

وقد حاول الدين الإسلامي بقدر المستطاع أن يدعو إلى وحدة الناس ويزيل بعض الحواجز العرقية، لكن برزت بذلك ثنائية، هي ثنائية المسلم وغير المسلم.

أما في عصر الدولة الأموية فقد «عادت ثنائية العرب والآخر، إذ تبنت الدولة الهوية العربية وحرصت على الاهتمام بالنسب العربي، واحتقرت الآخر، – الموالي فعادت المفاخرة بالأنساب والأحساب» [2]، فقد كان يتمثل الآخر في العصر الأموي أساساً في الموالي والأحباش والزنوج وغيرهم، ولم يختلف العصر العباسي كذلك عن العصر الأموي كثيراً، إلا أن الأدب في هذا العصر لم يتوان هو الآخر في رسم صورة خاصة به عن الآخر.

وقد تمثل الآخر البارز في الشعر العباسي، في الفرس والنبط والروم والترك والأحباش والزط والزنوج، إلا أن «حضور الآخر الفارسي في شعر العرب يفوق غيره من الأمم والأجناس، التي شكلت مجتمع الدولة العباسية» [3]، فالآخر الفارسي كان أكثر الأجناس احتكاكا بالعرب واختلاطاً بهم.

---

[1] نجيب بن خيرة، ثقافة الحوار مع الآخر في الحضارة الإسلامية، مجلة جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، الجزائر، العدد 24، 2007، ص 194.

[2] سعد فهد الذويخ، صورة الآخر في الشعر العربي، من العصر الأموي حتى نهاية العصر العباسي، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، اربد، الأردن، ط1، 2009، من 236-237

[3] المرجع نفسه، ص237

«وعرف العرب الروم، من خلال دلالات الحمرة والصه يرية وسبوطة الشعر وزرقة العينين، وكانت العلاقة القائمة بين العرب والروم تقوم على الحرب والعداء فبرزت صورة جيش الروم وقادته، وصور المعارك الحربية»[1]، فقد صور (المتنبي) مثلاً صورة الجيش الروسي واصفاً كثرة أسلحتهم وعتادهم بقوله:

أَتَوْكَ يَجُرُونَ الحَدْيدَ كَأَنّمَا سَرَوْا بِجِيَادٍ مَالَهُنَّ قَوَائِمُ

إِذَا بَرَقوُا لَمْ تُعْرَفِ البيض منهم بِأَبْهَمْ مِنْ مِثْلَهَا والعَمَائِمُ

خَمِيسُ يشرق الأَرْضِ والَغرْبِ زَحَفَتْ وَفيْ أُذُنِ الجَوْزَاءِ مِنْهُ زَمَازِمُ

تَجَمّعَ فِيْهِ كَلُ لِسْنْ وأمّةٍ فما يُفْهِمُ الحُدّاثَ إلا التَراجِمُ[2]

فقد تطرق (المتنبي) في هذا المقطع إلى وصف وتضخيم صورة الرومي، من حيث العدد والعدة، وأنه يملأ الأرض ضجيجاً، إذ إنه يحوي العديد من الأعراق والأجناس الأجنبية، فجيشه يقوم على المرتزقة، فهو يحتاج إلى وجود التراجم والمترجمين كوسيلة للتخاطب والتفاهم بين أفراده، وهذا دليل على كثرة الأعراق والألسنة في جيش الروم وتعددهم[3].

وفي العصر الحديث انقلبت نوعاً ما الموازين، وتغيرت بعض المفردات التي تشير إلى الآخر وثقافته وعقيدته، التي قد تختلف عن عقيدة وثقافة الأنا أو تتفق معهما، فظهر ما يعرف بكتلة الشرق وكتلة الغرب، فالعرب باعتبارهم

[1] سعد فهد الذويخ، صورة الآخر في الشعر العربي، ص 237-238.

اللسن: اللغة

[2] المتنبي، الديوان، دار صادر، بيروت، لبنان، ط2، 2008، ص246.

[3] للتوسع ينظر: سعد فهد الذويخ، صورة الآخر في الشعر العربي، ص 139.

ينتمون إلى كتلة الشرق، قد نظروا نظرة خاصة إلى كتلة الغرب وأصبحوا ينظرون إليها، ككتلة تمثل الآخر بالنسبة لهم.

فقد مر الأنا العربي بالعديد من الظروف التي جعلته يحتك بالآخر الغربي سواء في اللحظات العنيفة التي ميزت هذا الاحتكاك، كالحملات الاستعمارية التي شنتها مختلف القوى العربية على الدول العربية، أو مختلف اللحظات السلمية التي دشنت مثل هذه اللقاءات بالغرب وحضاراتهم.

تتجلى مختلف اللحظات السلمية، التي تم فيها اللقاء بين الأنا العربي والآخر الغربي، في مختلف الرحلات التي قام بها الإنسان العربي والتي قادته إلى البلدان التي تخص الآخر الغربي، مما جعلته يتصيد أهم ميزات وصفات هذا الآخر، الذي يمتاز في الغالب بغياب الوازع الديني والأخلاقي وانحلال العرى الاجتماعية كذلك.

إلا أن أغلب اللقاءات بينهما، أسهمت في رسم صورة غير ثابتة، وغير نهائية إذ لم يتصور العربي الآخر الغربي خيراً أو شريراً «ذلك أن لكل من القطبين المتنافرين الشرق والغرب، حسنات وسيئات، فما من رؤية وحيدة الجانب إلا مسحت الغير وجعلته رهين الأهواء، وحبيس نرجسية الأنا والجماعة،[1] فلو أن العربي اكتفى برسم صورة واحدة فإنه سيحكم على نظرته بالذاتية وغياب الموضوعية، فقد يبدو الغرب في وعي الأنا (العربية) هو نموذج التقدم والنهضة والعلم والعقل والحرية والديمقراطية والمجتمع المدني والنظام الليبرالي والحداثة

[1] جان نعوم طنوس، صورة الغرب في الأدب العربي المعاصر، دار المنهل اللبناني بيروت، لبنان، ط1، 2009، ص7

والتغيير الاجتماعي والمستقبل»[1] هنا يرى بعض الأدباء أن الغرب هو مصدر العلم والعقل، وأنه مصدر للحضارة وتجاوز زمن التخلف.

وتعد قصة قنديل أم هاشم ل(يحيى حقى)، إحدى النماذج العربية التي تبرز فيها رؤية العربي إلى الغرب باعتباره منبعا من منابع العلم والحضارة فإسماعيل بطل هذه القصة، سافر إلى إنجلترا لدراسة طب العيون وفيها تأثر كثيرا بما هو عند الغرب وبالتطور المذهل الذي وصلت إليه العلوم لديهم فرغم انتصار إسماعيل للثقافة الشرقية إلا أنه لا يلغي ضرورة الاستفادة مما وصلت إليه الثقافة الغربية.[2]

وتتجلى كذلك النظرة الإيجابية في التعامل مع الآخر الغربي، في رواية عمر يظهر في القدس (لنجيب الكيلاني).

ان هذه الرواية تقوم على فكرة ظهور الخليفة عمر بن الخطاب في القدس بعد نكبة 1967، لتبدأ الأحداث رفقة شخصية الراوي، الذي ينتمي في هذه الرواية، إلى إحدى منظمات المقاومة ضد اليهود وتتجلى رؤية الآخر في هذه الرواية، من خلال آراء عمر بن الخطاب في اليهود والمسيحيين، فقد تعرض عمر لاستفزاز من طرف أحد ضباط المخابرات، حول كيفية انتصاره هو وأصحابه في الفتوحات الإسلامية رغم قلة عددهم، إلا أن عمر عرف كيف يتعامل مع مثل هذا السؤال بحكمة، تنطوي على إيجابية ضاربة في التاريخ، في

[1] ابراهيم محمود عبد الباقي، الخطاب العربي المعاصر، المعهد العالمي للفكر الإسلامي للنشر والتوزيع، هرندن فرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية، ص12008، ص346

[2] للتوسع ينظر باديس فوغالي، جدلية الشرق والغرب في الرواية العربية، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة قسنطينة، الجزائر العدد8، 2007، ص88

التعامل مع الآخر، فهذا الآخر لا يمثل دائما عدوا يجب تدميره، بل ضالا لابد من هدايته وتتجلى الرؤية الإيجابية كذلك في رؤية الآخر في هذه الرواية في رفض عمر قبول أي كلام في حق الفتاة اليهودية راشيل وحول ما تقوم به من أعمال شنيعة فعمر نظر إليها، كإنسانة لها كرامة، وأن عرضها يجب أن يصان، ومثل هذا الموقف يبرز الإيجابية الكبيرة في التعامل مع الآخر ولو كان يهوديا. [1]

إن مثل هذه الرؤية المتزنة للآخر، التي تجلت من خلال شخص عمر تبرز أن الأديب العربي قد نظر بعين واعية للأخر الغربي، قوامها العدل والإنصاف والتعقل.

ومثل هذه الرؤية لم تكن عامة ومطلقة في جميع المنتجات الروائية والأدبية العربية، بل إن المنتج الأدبي العربي، قد حمل بين طياته رؤية ونظرة أخرى مغايرة للآخر الغربي وحضارته «لانبنائها على مبادئ هدامة كالمصلحة والمنفعة والقوة والصراع و التنافس، وإن كانوا يشيرون إلى وجود جوانب ايجابية فيها، وأنه من الضروري الاستفادة منها» [2]، فقد نظر بعضهم إلى هذا الآخر على اعتبار أنه مادة بلا روح، فعلى الرغم مما توصلت إليه من تطور تكنولوجي وعلمي، إلا أنها تفتقد للمقومات الأخلاقية والإنسانية، فالغرب يمثل صراع المتناقضات، صراع المادة وصراع الروح، فهو يعاني العديد من الأمراض.

---

[1] للتوسع ينظر: مدني زيقم، الاستيعاب الحضاري للأخر في الرواية العربية، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة قسنطينة، الجزائر، العدد8، 2007، ص120-121

[2] إبراهيم محمود عبد الباقي، الخطاب العربي المعاصر، ص333.

وتعد رواية عصفور من الشرق ل(توفيق الحكيم)، والحي اللاتيني ل(سهيل إدريس) من بين النماذج التي تجسد، مثل هذه الرؤية فقد « اكتشف بطل الحي اللاتيني، كما بطل عصفور من الشرق، أن الغرب ليس خيراً كله، وأن الحضارة الغربية المادية باتت تفتقر إلى روح حقيقية، تنأى بماديتها عن كل ما من شأنه أن يضر بالإنسانية»[1]، فكل من هاتين الروايتين قد جسدتا في الأخير إكتشاف الصورة الزائفة للآخر الغربي.

ففي رواية عصفور من الشرق مثلا « تتبدد تلك الصورة المثلى للغرب، التي انبهر بها محسن إزاء المدينة الأوروبية وانونها الراقية وثقافتها المتألفة في أيامه الأولى لزيارة باريس، حيث يعبر في مشهد من مشاهد[2] الرواية عن عظمة الحضارة الأوروبية مبديا إعجابه بمظاهرها المادية الراقية.... لكن سرعان ما تهتز هذه الصورة، التي شكلها عن الحضارة العربية، بعد أن يكتشف أن كل ذلك مجرد بخار لا يعدو أسبوعين مليئين باللهو واللذة، مع حسناء تدعى سوزي»[3]، فالبطل محسن في هذه الرواية، استطاع أن يكتشف أن العالم العربي هو مجرد سراب يلمع من بعيد، لكن إذا ما اقتربت منه، ولاست حقيقته غاب ذاك البريق وزالت كل المؤشرات الدالة عليه.

وتعد رواية موسم الهجرة إلى الشمال لـ(الطيب صالح)، مثالا آخر عن الرؤية السلبية للآخر الغربي، فمصطفى سعيد بطل هذه الرواية، سافر إلى بريطانيا

[1] أحمد النعيمي، الأفاق الانسانية في الآداب والفكر، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع عمان، الأردن، درط، 2008، ص173

[2] باديس فوغالي، جداية الشرق والغرب في الرواية العربية، ص91

[3] للتوسع ينظر، المرجع نفسه، ص88

من أجل الحصول على شهادة الدكتوراه، فيتعرف على فتاة هناك، فيقيم معها علاقة يسقط من خلالها علاقة الشرق بالغرب، محاولا بذلك الانتقام من الآخر الغربي المستعمر، من خلال إبراز فحولة وذكورة الشرق مقابل نعت الغرب بالأنوثة والخنوع فتوظيف المرأة في هذه الرواية، هو توظيف رمزي للنيل من الغرب ، فمصطفى سعيد في هذه الرواية، قد تعامل مع الآخر الغربي تعاملاً خاصا فهو قد نظر إليه، على أنه عدو يجب الانتقام منه.

وخلاصة القول إن الآخر الغربي، من خلال ما تجلى في هذه الأمثلة والروايات العربية المتطرق إليها، قد تم النظر إليه من خلال زاويتي نظر مختلفتين تجلى الأولى في أن الآخر يمثل منبع العلم، ولهذا يجب الاستفادة منه، لأن عنده

جوانب ايجابية يمكن أن شيد في تحقيق التقدم العربي، أما وجهة النظر الثانية، فهي تمال نظرة سلبية، تشير إلى ضرورة القطاع مع الجوانب السلبية في حضارة الآخر وفكره، وما يتعارض مع قيم الأمة العربية وعقيدتها وهويتها.

في حمل الأديب الجزائري كذلك، من خلال ما ورد في مؤلفات أدبائه، صورا عديدة للأمر، وقد كان الآخر بالنسبة للجزائري، يتمثل أساساً الآخر الفرنسي، يتجلى ذلك على وجه الخصوص في المنتج الروائي « فإذا كان الآخر في رواية الشمعة والدهاليز ، وأعني به الفرنسي تحديدا، مجنونا واحمقا ومستسلماً لرغباته، التي يلقى فيها حتفه، فإن الآخر في رواية شرفات بحر

الشمال هو الذوق الرفيع والسلوكات الراقية، ذلك المتجمد في شخصية كلمنسو».[1]

إن الآخر الذي عبر عنه (الطاهر وطار)، في روايته الشمعة والدهاليز كان مثالا للأخر المتهور، وغير الواعي بالمصير الذي قد يصل إليه، إذ إنه عاش اللحظة التي جمعته بـ العارم، دون أن يقدر العواقب إنها صورة اختزالية، تم فيها نعت الآخر بالعديد من الصفات الدونية.

تعد كذلك رواية اللاز (للطاهر وطار)، إحدى تلك الروايات التي جسدت صورة مزدوجة للآخر الفرنسي، تجلت الأولى في رسم صورة تكشف عن قساوة ووحشية هذا الآخر، يقول وطار« كان الموكب قد اقترب من المتجر، جنديان يجران اللاز من ذراعيه، وثمانية يستحلونه السير، باللكمات والضرب بأعقاب البنادق، بينما الدماء تتطاير من أنفه ووجنته وشفتيه».[2]

فالآخر الفرنسي الذي برز في هذا المقطع، كان استبدادياً وحيوانياً، يتفنن في ابتكار الطرق لتعذيب الشعب الجزائري.

وفي نفس الرواية نجد أن شخصية الفرنسية سوزان «تمثل طهارة ونقاوة الإنسان الفرنسي التقدمي بالخدمات التي قدمتها إلى زيدان الشاب الجزائري، القادم من عمق الفقر وتحط الفكر» [3]، فشخصية سوزان قد رسم لها الطاهر وطار صورة

---

[1] سليم بوعجاجة، تشكيل الذات وصورة الآخر في المنتج الروائي الجزائري، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة بسكرة، الجزائر، العدد 16، مارس، 2009، ص308.

[2] الطاهر وطار، رواية اللاز، الشركة الوطنية النشر والتوزيع، الجزائر، د.ط، 2007 ص13.

[3] شريبط أحمد شريبط دراسات ومقالات في الأدب الجزائري الحديث، منشورات المكتبة الوطنية الجزائرية، د.ط، 2007، ص98

تمتاز بالإشراق، فهي رمز للإنسانة المناضلة، من أجل إعلاء كلمة الحق، في مقابل الباطل.

فالآخر الفرنسي لم يكن سلبياً بصفة كلية، فصورته تأرجحت بين الآخر السلبي والآخر الإيجابي، الذي يعلي كلمة الحق، ولا يرضى بالظلم. وعموماً يمكن القول إن الآخر في الأدب العربي قد اختلف صورته عبر العصور باختلاف الأوضاع التي طبعت كل عصر، وطبيعة الآخر، الذي تم الاحتكاك به مما ولد صورة مميزة عنه، تختلف باختلاف الرؤية الأدبية، التي حاول الأديب العربي أن يجسدها من خلال أعماله الأدبية الشعرية أو الروائية على السواء.

رابعاً: صورة الآخر في الأدب الفلسطيني:

عرف الأدب الفلسطيني نقلة نوعية في مواضيعه الأدبية، فرضتها مختلف الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية، خاصة عندما حاول الغرب العثور على وطن لليهود في فلسطين على اعتبار أنها وطن بلا شعب وأن اليهود شعب بلا وطن.

عمل اليهود منذ دخولهم إلى أرض فلسطين على نشر الفساد، وإلغاء مقومات الشعب الفلسطيني، وثقافته فقد استهدف اليهود الشعب الفلسطيني في أماكن الاحتلال، بقدر كبير من محاولات الإفساد، وذلك بإغراق الشباب بأفلام ومجلات هابطة، ونشر دور الفساد والرذيلة وترويج المخدرات والمسكرات بين الناس عامة والشباب خاصة» [1]، فقد كانت سياسة هذا الأخير، تخدير الشعب الفلسطيني مستهدفاً بذلك الشباب الذي يعد الدعامة الأساسية لكل أمة.

[1] منير سعيد، على طريق الانتفاضة المباركة معجزة القرن العشرين، ص 14.

ورغم هذه المحاولات المتتالية من طرف اليهود «فبدلاً من أن يستسلم الشعب الفلسطيني لهذا الفساد وينقاد له إذ بالانتفاضة المباركة وبما سبقها من إعداد وتربية الشباب المسلم في بيوت الله وعلى كتاب الله إذا بالشعب يهجر هذا الفساد ويتميز أخلاقه وسلوكه» [1]،إن مختلف هذه المحاولات الهابطة في كسر وحدة الشعب ني الفلسطيني، باءت بالفشل فرغم ما حشده اليهود من دبابات وجيوش لإخضاع هذا الشعب إلا أن «حجارة فلسطين المباركة تؤدي دوراً عجزت عنه الجيوش والدبابات و الطائرات» [2]، وإلى جانب هذه الحجارة، وقفت الكلمة سلاحاً يواجه به الفلسطيني هذا الكيان المحتل، مواجهاً من خلالها مكر وخبث اليهود رافضاً بذلك التبعية لهذا الكيان، والانصياع تحت إمرته، والانحلال في مخططاته.

إن ظهور هذا الكيان في حياة الفلسطينيين، أدى بالضرورة إلى دخوله إلى مؤلفاتهم الأدبية المختلفة، آخذاً بذلك مكان الآخر المقابل لذاتهم وكيانهم، فكيف صور الأديب الفلسطيني الآخر في أدبه، وما أهم السمات التي صقل بها هذا هي التصوير؟

سعى الأدب الفلسطيني في رسم صورة خاصة به عن هذا الآخر الذي يختلف في «فلسطين عنه في أي مكان آخر، ذلك أن الآخر هنا ليس مجرد فكرة، أو مجرد منتج صناعي أو ثقافي، بل هو مشروع يوجد في مشروع استيطاني احتلالي مرعب يستعمل ليس فقط تكنولوجيته، وإنما أيديولوجيته أيضاً، وهو لا يأتي بذلك منفرداً، بل معززاً برؤية غيبية وسياسية، وفيزيائية

[1] المرجع نفسه، ص15.
[2] المرجع نفسه، ص18.

غريبة، ومدعومة من الغرب» [1]، فهذا الآخر اليهودي لم يوجد في فلسطين صدفة، بل إنه تثمين لجهود ومخططات الغرب الذين ساعدوه على رسم حدود لوجوده داخل هذه الأرض المباركة، إضافة إلى أن حرب اليهود ضد الفلسطينيين هي حرب عقائدية بالدرجة الأولى، فحرب اليهود مع المسلمين قديمة قدم التاريخ إن من أهم الأدباء الذين سعوا إلى رسم صورة الآخر اليهودي في فلسطين شعراء القضية الفلسطينية أمثال (سميح القاسم)، خاصة في قصيدته "الذي قتل في المنفى كتب إلى" إذ يقول فيها:

ذات يوم فاجأوني
دفعوا أمي وأختي جانباً
واعتقلوني.
ومع العتمة في بعض السجون
ضفروا لي الشوك
وعلى الأوحال والأسلاك
جروني طوال الليل
فركوا بالرمل والملح جراحي
وإلى ركن كريه ركلوني...
قتلوني ذات يوم
يا أحبائي... لكن

[1] طه المتوكل، صورة الآخر في الشعر الفلسطيني (1994، 2004)، صدر عن الشعار رام الله، فلسطين، ط1، 2005، ص5.

ظل مرفوعاً إلى الغرب... جبيني[1]

رسم (سميح القاسم) في هذا المقطع، صورة وحشية للآخر اليهودي، متمثل صورة السجان الوحشي الذي مارس مختلف أنواع التعذيب في حق الشعب في الفلسطيني، خاصة في حق هذا الإنسان الفلسطيني الذي دوهم بيته، واقتاده الجنو إلى السجن بطريقة فضيعة.

إضافة إلى قصيدته "هنا تعبر النسور"، إذ يصور فيها الآخر اليهودي وهـ و يحاول طمس معالم الشعب الفلسطيني، وقصائده ظلال طائرة إسرائيلية، الهدف الأخير، الحب على الطريقة الإسرائيلية، عن كرمثيل[2].

نجد كذلك الشاعرة (فدوى طوقان) تبرز صورة الآخر في قصيدتها حمزة نجدها تقول:

كانت الخمسة والستون عاماً

صخرة صماء تستوطن ظهر حين ألقى حاكم البلدة أمره

انسفوا الدار وشدوا

ابنه في غرفة التعذيب! ألقى

حاكم البلدة أمره

ثم قام

يتغنى بمعاني الحب والأمن

[1] سميح القاسم، شعر الأعمال الكاملة،م 1، دار الجيل، دار الهدى، لبنان، ط 1، 1996، ص 267.268.269

[2] مدينة بناها اليهود على أنقاض مدن فلسطينية قاموا بتهديمها.

وإحلال السلام.[1]

إذ تحاول(فدوى طوقان) في هذا المقطع إبراز عنجهية الآخر اليهودي، الذي يمارس سلطة القمع وإلقاء الأوامر، ويحاول إظهار عكس حقيقته فهو يتغنى بكل شعار، ينم عن السلم والسلام، وهو في حقيقة الأمر طاغية يتخفى وراء ستا

الأمن والحضارة.

كما تتجلى صورة الآخر، لدى العديد من شعراء فلسطين أمثال حنا أب حنا[2] وزياد توفيق في قصيدته كلمات عن العدوان، محمود دسوقي في قصيدته السجد والكفاح، وغيرهم.

إن صورة اليهودي وفق ما ورد ذكره من نماذج ومقاطع، قد كانت صورة نمطية فقد عبرت عن الآخر اليهودي المتسلط والمتجبر والممارس لمختلف أنواع القمع للشعوب، خاصة الشعب الفلسطيني، الذي أنهكته مؤامرات ودسائس هذا الجنس البشري الذي يحمل مثل هذه الصفات.

وكما أسهم شعراء فلسطين في رسم صورة للآخر اليهودي، فإن كتاب الرواية والقصة الفلسطينية، قد أسهموا هم كذلك في وضع صورة خاصة به، تجلت أساساً في صورة الجندي، فقد برزت شخصية الجندي اليهودي الإسرائيلي في الرواية الفلسطينية «فلا تكاد تخلو رواية من هذه الروايات من ذكر الجندي الإسرائيلي فالجندي في زمن الاحتلال هو وجه الدولة اليهودية وعنوانها، لا يكاد

[1] فدوى طوقان، الديوان، دار العودة، بيروت، لبنان، ط1، 1987، ص544.

[2] شاعر فلسطيني، ولد في قرية الرينة، قرب الناصرة، تتلمذ على يديه معظم شعراء المقاومة العربية في فلسطين المحتلة.

يخلو مكان في المناطق المحتلة من الجنود، تراهم في كل مكان في الطرقات، قرب المدارس والمستشفيات، وعبر الجسور والمعابر، وفي السجون، ولا فرق بين جندي ومجندة فالجميع يمثلون الاحتلال، وينفذون أوامره بأساليب قمعية مختلفة»[1]، فالجندي هو دائماً اليد التي يبطش بها الساسة، وكبار المسؤولين في الدولة اليهودية، فقد استعمل كوسيلة لقتل ومضايقة الشعب الفلسطيني، باعتباره يمثل الجانب العسكري، إضافة إلى بروز صورة اليهودي في صورة ضابط المخابرات، الذي يقوم باستجواب السجناء والتحقيق معهم، كما أن ضابط المخابرات يقوم ببعض الأعمال المشبوهة فهو ينصب... الخطط للإيقاع بالشباب والشابات، مستغلاً الجنس أو الضغط النفسي أو الإغراء المادي»[2]، إنه شخصية تعبر عن الآخر اليهودي غير المتخلق ولا الإنساني، إنه في أغلب الحالات شخصية يهودية دنيئة.

أما الرواية الفلسطينية النسائية، فهي الأخرى تبرز صورة للآخر اليهودي، فقد برزت في رواية إلى اللقاء في يافا (1970) للروائية (هيام رمزي الدردنجي). ففي هذه الرواية تبرز الروائية في أحد المقاطع مواجهة بين فلسطيني وجندي يهودي إذ «إن هذه المواجهة مع الجندي الصهيوني، التي يصر فيها أسامة على ذكر الاسم العربي لمدينته، على الرغم من محاولات الجندي الصهيوني، تغييره إلى اسم عبري (شخيم)، تكشف عن مدى حبه وانتمائه لمدينته العربية

[1] محمد أيوب، الشخصية في الرواية الفلسطينية المعاصرة في الضفة الغربية وقطاع غزة 1967-1993، مخطوط مذكرة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، 1996م، ص93

[2] محمد أيوب، الشخصية في الرواية الفلسطينية المعاصرة، ص98.

الأصل، وفي الوقت نفسه تكشف عن سياسة الاحتلال في خلق أسماء عبرية لأسماء المدن العربية الفلسطينية، لإثبات حقائق زائفة».[1]

فهذه الرواية تبرز سياسة المستعمر اليهودي في محاولة منه لمسخ، وسلخ الفكر الذي يعيش به الإنسان الفلسطيني، محاولاً بذلك نزع كل معالم هويته ونزع كل ما من شأنه أن يذكره بتمسكه ببلده.

وفي مقطع آخر من نفس الرواية تقول الروائية: «جاء الضابط الإسرائيلي وأعاد على سؤاله التقليدي عن أماكن قواعدنا، أطبقت فمي ولم أتفوه بينت شفة...بطحني على الأرض وأخذ يمسني بالكهرباء في أذني وأنفي» [2]، فهنا تبرز

شخصية عبلة أمير وحشية هذا الضابط اليهودي، وعدم رحمته وظلمه.

اما الجانب الأخر لصورة الجندي وضابط المخابرات اليهودي، فقد كانت صورة ايجابية إلا أن الروائي الفلسطيني عموما "لم يقع أسير الأفكار المسبقة عن الجندي الإسرائيلي، ولذا فإنه لم يقدم لنا لحملة نمطية، ولم يرسم لحمية الجندي بقصد التشويه... لقد قدمت الرواية شخصية الجندي الطيب، الذي تنهمر دموعه في المواقف الإنسانية، ولكن ذلك كان بمثابة الاس تثناء بالنسبة للقاعدة".[3]

فرغم وجود شخصيات يهودية الحمل بعض الجوانب الإنسانية، إلا أنها في الغالب الأعم ولا تحمل في طياتها الجانب الإنساني كسائر البشر.

---

[1] حفيظة أحمد، بنية الخطاب في الرواية النسائية الفلسطينية(دراسة نقدية)، منشورات مركز أو غريت الثقافي، رام الله، فلسطين، ط1، 2007، ص172

[2] نقلا عن: المرجع نفسه، ص 153-154.

[3] محمد أيوب، الشخصية في الرواية الفلسطينية المعاصرة، من 95

كما برزت في مختلف الروايات الليلية، صورة اليهودي المدني المستوطن فتارة يبرز باله جاسوس يحمل الأخبار، إلى كبار قادته، وتارة يبرز بأنه شخصية مسالمة، تحاول العمل أو الابتعاد عن إيذاء الآخرين.

وعموما يمكن القول، إنه قد "طغى الوجه العسكري على الشخصية اليهودية فظهرت شخصية الجندي، وضابط المخابرات....ولم يمترس الكاتب الفلسطيني خلف أفكار مسبقة من اليهودي، تقدم شخصية الجندي بإيجابياته وسلبياته وبلغ الأمر ببعض الكتاب إلى حد جعل العامل اليهودي، أقرب إلى العامل العربي من

رب العمل العربي»[1].

فصورة اليهودي لم يكن لها طابع سلبي فقط، بل كان هناك نوع من المزاوجة

تجسيد صورته بين الإيجابية والسلبية.

أما صورة المرأة اليهودية، فقد تجلت في بعض النماذج من الأدب الفلسطيني على أنها مجرد عميلة وجاسوسة للسلطات الإسرائيلية، فهي تسعى لأخذ أموالهم وإشغالهم عن ضرورة التمسك بأرضهم.

يتجلى هذا الأمر في مسرحية «(العبوشي) "وطن الشهيد"، في المسرحية تظهر فتاتان يهوديتان لعوبان تصادقان الشاب العرب، وتعملان على إفسادهم والحصول على أموالهم، وتحثانهم على بيع أرضهم للوكالة اليهودية».[2]

[1] المرجع نفسه، ص 141

[2] عادل الأسطه، أوراق مقارنة في الأدب الفلسطيني، ص 73.

إن هذه المسرحية، تبرز حقارة المرأة اليهودية، التي تتعامل مع سلطات إسرائيل من أجل تحقيق مطامعهم وغاياتهم في أرض فلسطين.

وفي مقابل هذه الصورة تبرز صورة أخرى للمرأة اليهودية، على أنها محبوبة مثل

نموذج الأديب (ناصر الدين النشاشيبي)، في روايته حفنة رمال والتي تحكي عن علاقة حب بين سارة اليهودية وثابت الفلسطيني، فصورة سارة هنا كانت إيجابية، إذ كانت دائماً مساندة لثابت، وواقفة في وجه السلطات الإسرائيلية[1].

وجامع القول إن صورة اليهودي في الأدب الفلسطيني، المتمثل في الآخر، قد تراوحت بين الإيجابية والسلبية، من خلال ما ورد في النماذج المذكورة.[2]

تتجلى صورة أخرى للآخر في الأدب الفلسطيني كذلك في صورة الأمريكي خاصة السلطة الأمريكية، باعتبارها من يمد العون لليهود، وتحاول دائما تعزيز وجودهم في فلسطين، وتبرز صورة الأمريكي خاصة في نثر (محمود درويش)، الذي يتحدث دائما عن الأمريكي؛ وهو لا يقصد به الشعب، بل كمركز للسلطة القمعية والعنفية، فقد «تحدث عن السلطة الأمريكية، التي رأى فيها رمزاً للتسلط والإرهاب وغزو الشعوب وقمعها، وصورة السلطة الأمريكية تكاد تكون ثابتة في نثره، فهي تعزز دائما الوجود الصهيوني في فلسطين، وتكاد تكون الأب الشرعي شبه الوحيد لدولة إسرائيل».[3]

---

[1] للتوسع ينظر المرجع نفسه، ص 79.

[2] المرجع نفسه، ص 141.

[3] تهاني شاكر، محمود درويش ناثرا، نقد ادبي، المؤسسة العربي لبنان، ط1، 2004، ص 162

فأمريكا تحاول دائما قمع الشعوب، ومحاصرة العالم، حتى تفرض ثقافتها ونمط حياتها، ولهذا فإنها تعكف على مد العون لمثل هذه الممارسات الدنيئة لإسرائيل في فلسطين.

إن مثل هذه الصورة السلبية، التي شكلها نثر محمود درويش عن الأمريكي، من خلال سلطة أمريكا، كان العامل الأساسي في تشكلها هو السياسة الخبيثة، التي تمارسها هذه الأخيرة.

ومحمود درويش يرى أن أمريكا هي دولة الإرهاب الأولى، لأنها تحرص على التحريض على مختلف الأعمال الاستدمارية يقول: « ولا يعجبنا حياء العرب في محاورة معنى الإرهاب، ولا قبولهم حق أمريكا، وهي دولة الإرهاب الأولى في اغتصاب مقاعد القضاة في محكمة الإرهاب» [1] تشجع الممارسات الإرهابية في حق الشعوب فالأمريكي المتمثل في السلطة، يقف دائما موقف المساند لليهودي وأهدافه المتمثلة في إنشاء دولة له في فلسطين.

ومن خلال ما سبق، يمكن القول إن الآخر في الأدب الفلسطيني يتجسد أساسا في الآخر اليهودي والأمريكي، وهذا لا يلغي أنهما يمثلان الآخر الوحيد في المنتج الأدبي الفلسطيني، إذ إن هناك الآخر الغربي.

إلا أن التركيز، كان على الآخر اليهودي والأمريكي، ذلك أنهما يمثلان الوصف المناسب للآخر، ومن يعزز الوجود اليهود في فلسطين لأنهما يمثلان معاً الصيد، الذي يسلب عالم الأنا المتمثلة أساساً في الشعب الفلسطيني، كأمة عربية مسلمة، وإن كان الآخر الغربي يؤيد مثل هذا الإتجاه الذي يسعى الآخر

[1] نقلا عن: المرجع نفسه، ص 162.

اليهودي والأمريكي لتجسيده واقعيا على أرض فلسطين، كحلم يتمنون أن يتحقق في يوم من الأيام.

وعلى العموم يمكن القول إن صورة الآخر في الآداب الأجنبية والعربية قد اختلفت من أدب إلى آخر، كما أن طبيعة الآخر هي التي زودت الأنا بمثل تلك الصورة التي شكلها عنه، ولكن كل ما يمكن قوله إن هذه الصورة تبقى في الغالب الأعم صورة نسبية، ذلك أنها تنشأ من وجهة نظر أديب معين، إذ إن طبيعة العلاقة التي تجمع الأنا بهذا الآخر هي التي تحدد طبيعة هذه الصورة.

الفصل الثاني: تحولات صورة البخر اليهودي في شعر محمود درويش

-أنماط الصورة الشعرية عند محمود درويش

أولا: صورة العدو

ثانيا: صورة المرتفي

ثالثا صورة الجندي

رابعا: صورة السجان

خامسا: صورة القاتل

سادسا: صورة المثالي

-أنماط الصورة الشعرية عند محمود درويش:

إن إنبثاق الصورة من الواقع وإن كان انبثاقا مغايرا له، يجعل تاريخها تاريخا لمحاولات الفن أن يفرض رؤيته على ماحوله من وجود، ليتألف غزلته ويستنطق صمته، ومن هنا كانت أنماط الصورة الشعرية في تنوعها كيفيات متعددة لمعاينة الوجود ومعاناته فنيا، وحسب الشروط الواقع تكون كيفية تصويره، فإن واقعا مفعما بكلّ هذه المأسوية وممتلئا _رغمها_ بإرادة الحياة والصمود، مثل الواقع الفلسطيني، يشير إلى ثلاثة أنماط رئيسية لتصويره جماليا، قد يشترك "محمود درويش" مع غيره فيها، إلّا أنه تميز عنهم في خصوصيتها التشكيلية إلتي تفرز أنواعا متعددة للنمط الواحد.

وهذه الأنماط الثلاثة هي:

1 -الصورة الشعرية المتوسطة بين المطابقة والإيحاء

2- الصورة الشعرية المتجاوزة

2 -الصورة الشعرية التشكيلية.

- الصورة الشعرية المتوسطة بين المطابقة والإيحاء:

إن الواقع الفلسطيني لا يشبه إلا نفسه، مشحون باستمرار بالحدث ومحكوم بالتصاعد، ويسقط بطله آلاف السقطات التراجيدية دون أن ينفتح على نهاية أو ما يشبهها[1]وإحدى هذه الصياغات الجمالية التي تمثل طموحا شعريا فذا لاقتراب من الذروة التراجيدية التي يبتدئ منها الحدث الفلسطيني، وعلى رغم من وصفنا لهذا النمط بالمقاربة، فإنها تكتنف في أثنائها أبعادا إيحاء مستمدة من ثراء واقعها وحركيته، فلا تسقط في حببّ التقريرية إلا حين تتخلّف في محاولة

[1]الخطاب الشعري عند محمود درويش، د/ محمد فكري الجزار، ط1/ 2001.

صعودها عن استيعاب عمق المشهد الواقعي: الضحية والجلّاد، الوطن والمنفى، الصمود والاضطهاد، الثورة والانكسار، والتي تشكل في جدلها الخصب جوهر مأساة الواقع الفلسطيني، ومن هذه الصورة التقريرية، يقول محمد درويش:

وضعوا على فمه السّلاسل

ربطوا يديه بصخرة الموتى

وقالوا:أنت قاتل

أخدوا طعامه والملابس والبيارق

ورموه في زنزانة الموتى

وقالوا: أنت سارق

طردوه من كل المرافئ

أخذو حبيبته الصغيرة

ثم قالوا: أنت لا جئ[1]

أن الصورة تتولد دلالتها النصية من تفاعل مكوناتها التصويرية لنتجاوز بهذا التفاعل، كلا من الواقع واللغة بلا دلالة سابقة لمفرداتها، ولكن هذه الدلالة تتولد عن علاقاتها، حيث أن مكونات الصورة منقطعة عن طبيعتها المألوفة في الواقع لتمتلك في بنية الصورة بيعة شعرية إنها تمتلك لحظتها الإجمالية في النص من هذه المسافة التي تفصل بين لغة المجتمع وإشغالاته، ولغة الصورة وتشكيلها،

[1]: د/ أنفنان القاسم – مسألة الشعر والملحمة الدروشية- عالم الكتب/ بيروت/ ك1/ 1987م.

عمل الأدب الفلسطيني، على اختلاف أنواعه سواء الشعرية كانت أم النثرية على تجسيد وتصوير الآخر في إبداعاته، إذ اتسعت مخيلة الأديب الفلسطيني لتستوعب مثل هذا التصوير، ذلك أن الأوضاع السياسية والاجتماعية والثقافية التي يحياها أفراد الشعب الفلسطيني، قد أيقظت شهوة الكتابة لدى الأدباء الفلسطينيين فاندس بذلك الآخر بين ثنايا سطور هذه الكتابات، فبرز الآخر الغربي والآخر الأمريكي، وحتى الآخر العربي لدى كتاب الرواية والشعر على السواء، وهذا ما القاسم وفدوى طوقان وحنا حنا وزياد توفيق وغيرهم. تجسد في اعمال سميح

– تحولات صورة الآخر اليهودي في شعر محمود درويش.

وقد كان لحضور الآخر اليهودي المساحة الأكبر، ذلك أن اليهود يمثلون الوصف والتجسيد الحقيقي للآخر بالنسبة للفلسطينيين ومن الذين رسمت حروف أناملهم صورة للآخر اليهودي محمود درويش، فكيف بدت صورة الآخر اليهودي في شعر محمود درويش؟

وما هي أهم التحولات التي خضعت لها هذه الصورة في شعره؟

وما صدى تأثير الصراع اليهودي الفلسطيني في إبراز صورة خاصة لليهودي في أشعار محمود درويش؟

ورد الحديث عن اليهود في شعر محمود درو يش، وبرزت صورتهم في العديد من قصائده، إذ مثل هؤلاء الآخر بالنسبة له ولشعبه، وقد اختلفت صورهم بالنسبة إليه وهذا ما برز جليا في ثنايا سطور قصائده المتواجدة في دواوينه،

عاشق من فلسطين، لماذا تركت الحصان وحيدا، وحالة حصار ومن بين هذه الصور:

أولا: صورة العدو:

يعرف العدو في المعجم اللغوي بأنه: «ضد الصديق، يكون للواحد والاثنين والجمع والأنثى والذكر بلفظ واحد، قال الجوهري: العدو ضد الولي، وهو وصف ولكنه ضارع الاسم» [1]، فالعدو يمثل ذلك الشخص الذي نحمل تجاهه مشاعر تختلف عن تلك المشاعر التي نكتها للصديق.

أما صورة العدو فـ«هي تمثيل للعدو، ويمكن تعريفها بأنها صورة مشتركة بين أعضاء جماعة معينة تجاه العدو، تتسم بنزع الطابع الإنساني عن هذا الآخر».[2]

فالعدو يمثل إحدى النماذج التي تعبر عن الآخر، بالنسبة للأنا والنحن وتمثيل هذا العدو يعطي صورة نمطية محضة وغير إنسانية عنه.

وقد كان لهذا الآخر العدو والمتمثل أساساً هنا في اليهودي حضور قوي في أشعار محمود درويش، فكيف جسد محمود درويش اليهودي العدو في أشعاره، وماهي أهم ملامح هذا التجسيد؟

إن طبيعة الصراع الذي تدور أحداثه بين الفلسطينيين واليهود والذي اشتد«في العصر الحديث حيث زاد حدة وعنفا وقسوة، ونجح اليهود في هزيمة المسلمين المعاصرين وإقامة كيان لهم في فلسطين» [3]، هو الذي فرض، مثل

[1] ابن منظور، لسان العرب، مادة عدا، م 10، ص69.
[2] ويكيبيديا الموسوعة الحرة،http:WWW.wikipedia.org/wiki
[3] صلاح عبد الفتاح الخالدي، الشخصية اليهودية من خلال القرآن، (تاريخ وسمات ومصير)، شركة الشهاب للنشر والتوزيع، باب الواد، الجزائر، ط1،1978، ص365.

هذا الحضور القوي لهذا الآخر في صورة العدو في أشعار محمود درويش، ذلك أن القضية الفلسطينية، كان لها ارتباط كبير باسم هذا الشاعر، إذ تكاد تعلم أنهما يمثلان وجهان لعملة واحدة.

فاحتكاك (محمود درويش) بهذا الآخر في العديد من المناسبات، مكنه من اسم صورة خاصة به عنه، وقد اختلفت وجهة نظر درويش إلى هذا الآخر اليهودي وهذا ما دفعه إلى رسم العديد من الصور المختلفة عنه، التي من بينها صورة العلم .

إذ يصور (محمود درويش) في قصيدته " **عاشق من فلسطين** " الآخر اليهودي بأنه مثل الريح العاتية التي يحاول أن يحمي أرضه منها ويتجلى ذلك في قوله:

عيونك شوكة في القلب

توجعني... وأعبدها

وأحميها من الريح.[1]

ف(درويش) الذي أنهكته قوى اليهود، أصبح يعاني ألما نفسيا حادا، فالحرب التي يشنها اليهود ضد شعبه قد أعيته، ولكنه رغم ذلك بوطنه المفدى.

إضافة إلى أنه يرسم في نفس القصيدة صورة أخرى للآخر اليهودي، تحيل إلى أنه ينظر إليه باعتباره سلطة قمعية احتلالية، من خلال تصويره لصورة بلاده التي يعتبر أنها لن تنكسر لهذا العدو، إذ يقول:

وأنت كنخلة في البال

[1] محمود درويش، ديوان عاشق من فلسطين، الأعمال الكاملة، اعداد العودة، بيروت، لبنان، د طه دت، ص158

ما انكسرت لعاصفة وحطاب

وما جزت ضفائرها

وحوش البيد والغاب...[1]

يعتبر درويش أن الآخر اليهودي العدو المتمثل في سلسلة الاحتلال في عبارة عن وحش يحاول نشر الفساد في أرض فلسطين فدرويش المرتبط بارضه والمتأصل في كيانها يعتبر أن هذا الآخر يشكل الخطر الماحق الذي بهاده وشعبه، كما يبرز في نفس الوقت صمود أرضه في وجه هذا المستدمر.

يصور درويش في مقطع آخر من نفس القصيدة، الآخر اليهودي، بأنه مثل الروم فاليهود يمثلون روما جدد أتوا إلى أرض فلسطين ليدمروها ويميلوا فيها الفساد إذ يقول مخاطباً بلاده ومصوراً الآخر: وباسمك صحت في الوديان خذوا حذرا...

خيول الروم! أعرفها

وإن يتبدل الميدان!

من البرق الذي صكته أغنيتي على الصّوان.[2]

فالأثر الذي تركه الآخر اليهودي في نفس درويش المتألمة والمفرغة من أمنها وسلامها، هو الذي أضفى مثل هذه الصورة السوداوية له، فلا فرق عند درويش بين بطش الروم في الماضي واستنساد اليهود في وجه المستضعفين من الفلسطينيين في الزمن الحاضر.

[1] محمود درويش، عاشق من فلسطين، الأعمال الكاملة ، ص162.
[2] المصدر نفسه، ص164.

يظهر الشاعر في مقطع آخر من هذه القصيدة، صورة أخرى للعدو إلى أحده يخاطبه مصوراً إياه، مبرزا صفة أخرى من صفاته، كيف لا وهو قد ضاق ذرعا بمكائدهم يقول:

وباسمك صحت بالأعداء:

كلي لحمي إذا ما نمت يا ديدان

فبيض النمل لا يلد النسور ...

وبيضة الأفعى...

يخبئ قشرها ثعبان!

خيول الروم.. أعرفها

وأعرف قبلها أني

أنا زين الشباب، وفارس الفرسان.[1]

يصور لنا الشاعر في هذا المقطع الآخر اليهودي المحتل بأنه عدو، يتجلى هذا في قوله: وباسمك صحت بالأعداء" فعبارة صحت بالأعداء تدل على أن درويش يعتبر اليهود الذين احتلوا بلاده بأنهم أعداء وأنهم قد سعوا إلى تخريب فلسطين ولهذا فإنه يصور الغاصب المحتل بأنه كالأفعى، وأن هذه الأفعى تخبئ في باطنها ثعابين، فاليهودي يسعى دائماً إلى إنشاء أبنائه على العقيدة اليهودية، كما يؤكد في هذا المقطع أن اليهود هم روم وإن تبدل الميدان، ومثل هذا المقطع يعبر عن الغضب الذي اعترى شاعرنا، وهذا يبرز من خلال

[1] محمود درويش، عاشق من فلسطين، الأعمال الكاملة، ص164.

نعته للآخر بالأفعى، كما أن هذا المقطع يبرز الحقد العميق الذي زرع في قلبه تجاه الآخر، لأنه قد أطفا نور حياته وأبي الخروج من أرض أجداده.

أما في قصيدته "**صوت وسوط**"، نلمح أن الشاعر يقدم صورة أخرى للعدو اليهودي، إذ يصوره بأنه عبارة عن إعصار قد عصف بأرض فلسطين، وهو يتمنى لو أنه أشرعة ليواجه بها هذا الإعصار يقول:

لو كان لي في البحر أشرعة،

أخذت الموج والإعصار في كفي

ونومت العباب...[1]

فحلم النصر والانتصار، يراود دائماً شاعرنا، ويتغنى به، ويتمنى امتلاك وسائل النصر لمواجهة الاضطهاد اليهودي.

ويتكرر مشهد تصوير الآخر المحتل بالعاصفة، لدى درويش في قصيدته "**ولادة**" إذ يقول مخاطباً أمه ومصوراً الآخر:

يا أمي

جاوزت العشرين

فدعي الهم، ونامي!

إن قصفت عاصفة

في تشرين

فجذور التين

راسخة في الصخر.. وفي الطين. [2]

[1] محمود درويش، عاشق من فلسطين، الأعمال الكاملة، ص 167.
[2] محمود درويش، عاشق من فلسطين، الأعمال الكاملة، ص 173

ان درويش يصور صمود أهل بلاده ضد الاستعمار ال غشم الذي يرمز له بالعاصفة، فأبجديات الحياة التي تعلمها درويش قد جعلت منه يتغنى بلغنيات الصمود ويعي مكامن الآخر اليهودي فتعلق درويش بامه إنما هو تعلق بارضه وتمسك بجذورها .

يرسم (درويش) صورة أخرى للآخر في قصيدته "**تموز والأفعى**" ويرى بأنه أفعى، تسعى في خراب أرضه، وهو يقرن موسم الحصاد وجمع المحاصيل بظهور هذه الأفعى محاولاً بذلك إبراز أن العدو المستمر، لم يترك فرصة لأبناء وطنه في يحصدوا ما زرعوا، فالأرض التي كانت دائما معطاءة، وقف في وجهها المدير وأمل ما فيها.

يعتبر (درويش) كذلك في هذه القصيدة أن الآخر اليهودي العدو عبارة عن كف تسمم ماء آبار فلسطين، إذ يتجلى هذا في السؤال العبلي الذي يطرحه، إلا يتساءل كيف أن نباتات بلاده وزرعها تطيع الكف التي تسمم أبارها، يقول:

فتساءل المنفيّ:

كيف يطيع زرع يدي

كما تسمع ماء أباري..؟ [1]

[1] المصدر نفسه، ص 181

يشكو درويش في هذا المقطع غصب أرضية فاليهودي في استحوذ علي الأراضي الزراعية التي كان يمتلكها الفلسطينيون وترك في قلب شاعرنا الحزن والحسرة على ضياع الأرض.

تتكرر صورة الأفعى كذلك في نفس القصيدة حين يربطها درويش الأمور الذي يرمز للخصب والنماء إذ يقول:

تموز يأخذ معطف اللهب

لكنه يبقى بخربتنا

افعي

ويترك في حناجرنا

ظمأ[1]

فتموز الذي يرمز للخصب والنماء، تتغير دلالته على أرض فلسطين فهو لنا مر بها يترك فيها أفعى التي تمثل صورة حية للآخر اليهودي المحتل، فكلما من هذا الشهر ترك أهل فلسطين على حالهم يعانون لسعاتها عيد اليهود قد قذفت باحلام شاعرنا وشعبه خارج مضمار الحياة، وأوصدت أبواب الهناء والراحة النفسية التي يرغب في أن يحياها، فهذا الآخر قد غيب اخضرار الحياة من حياة درويش وسرق الإشراقة المضيئة من وطنه والتي كان يحيا لأجلها.

وتبرز في قصيدته "**وشم العبيد**"، صورة أخرى للعدو اليهودي إذ يبدو بأنه مثل الروم وأن الفرق يكمن في أن ملابسه فقط هي التي تغيرت،

يقول درويش:

[1] محمود درويش، عاشق من فلسطين، الأعمال الكاملة ، ص182.

روما على جلودنا

ارقام أميري، والسياط

تفكها إذا هيت، أو ترتخي...

كان العبيد مولا

افتوا البلاط

بابل حول حبينا

وشم سبايا عائدة

تغيرت ملابس الطاغوت [1]

يشبه العدو في هذا المقطع الرومان، فهو يمارس مختلف أنواع الاستعباد ضد شعبه الأعزل الشعور درويش بالقهر والحرمان أدى به إلى رسم مثل هذه الصورة للآخر فالإحساس بالعربية يؤدي إلى الشعور بالشهر النفسي لدرويش قد أنتج مثل هذه الصورة من رحم الألم الذي عايشه.

يرسم (درويش) ملامح الآخر اليهودي العدو في قصيدته في انتظار العادين ويبرز أنه قد نهب شعبه كل شيء، ولم يترك لهم شيئا، فالتعدي على ممتلكات الآخرين سفة امتاز بها اليهود، وأنهوا وتعانوا في تطبيق أسامها، يقول:

نهبوا خوابي الزيت، يا أمي، وأكياس الطحين

هاتي بقول الحق! هاتي العشب!

إنا عائدون

[1] محمود درويش، عاشق من فلسطين، الاعمال الكاملة، ص 186

خطوات أحبابي أنين الصخر تحت الحديد.[1]

تلك هي الصورة التي جسدها درويش في هذا المقطع، فالآخر اليهودي المصور هنا يتصف بصفات شائنة، إذ إن النهب والسلب، عبارة عن طبائع بشرية مذمومة، تحيل على أن المتصف بها شخص فاسد، وتصميم درويش لمثل هذه الصورة للآخر يحيل على الإرهاق النفسي الذي صار يحياه جراء تسلط هذا الآخر.

يشير كذلك في قصيدته "تشيد"، إلى أن العدو المحتل قد جعل دربه مليئاً بالأشواك، فالآخر اليهودي في نظره قرصان، يحاول أن يتجاوز الأشواك التي يزرعها في طريقه وطريق كل فلسطيني، فرغم بطش الآخر اليهودي إلا أن شاعرنا يتغنى

بأغنيات الصمود والمقاومة يقول:

لأجمل ضفة أمشي

فلا تحزن على قدمي

من الأشواك

إن خطاي مثل الشمس

لا تقوى بدون دمى!

لأجمل ضفة أمشي

فلا تحزن على قلبي

من القرصان. [2]

[1] محمود درويش، عاشق من فلسطين، الأعمال الكاملة ، ص190.
[2] محمود درويش، عاشق من فلسطين، الأعمال الكاملة، ص223

يستحضر درويش في هذا المقطع رمز الفرسان ابدال به على اليهودي المحتل، وليسقط عليه الصفات المدينة التي يمتاز بها الفرحان في هذا المقطع يعبر درويش عن الصمود الذي اعتصره من بوتقة الألم نب الأخر اليهودي فيه.

يوضح درويش في نفس القصيدة أن هذا الآخر يحاصره ويحاصر شعبه وأنه سيصنع من المشا رق التي يضعها سلام ليحقق ر فقة شعبه الانتصار يقول بصيغة الجمع:

سنصنع من مشارقنا

ومن صلبان حاضرنا وماضينا

سلام للغ الموعود. [1]"

شده درويش مختلف الألفاظ معان قم تحول المليان والمشاق إلى سلام بر من وهو عد النصر في هذا يدل بإرادة الإنسان الفلسطيني.

يتابع درويش في هاه القصيدة تصوير الأعداء اليهود بانهم يكرهون العرب ويحقدون عليهم ويحاولون دائما إلغاء الكيان العربي ونعته بالهمجي يقول:

ستخرج من م خابئنا.

ويشتمنا أعادينا:

"هلا... همج هم... عرب" [2]

فحقد اليهود على شعب فلسطين والعرب عميق في قلوبهم ومتأصل فيها، وهو الذي يسير كل حركاتهم ومؤامراتهم ضد الشعب الأعزل.

[1] المصدر نفسه، ص225

[2] محمود درويش، عاشق من فلسطين، الأعمال الكاملة، ص227

كما يصور درويش في هذه القصيدة أن صوت هذا الآخر مدهون بالفسفور وأن دربه كله ظلم، وأن شعب بلاده قد مل صوته هذا، فيقول مخاطباً إياه:

سمعنا صوتك المدهون بالفسفور

سمعاه.... سمعناه

فكيف ستجعل الكلمات

أكواخ الدجى... بلّور

ودربك كله. ديجور

وشعبك...

دمعة تبكي زمان النور

وأرضك نقش سجادة

على الطرقات مرمية

وأنت... بدون زوادة

وماذا بعد؟ وماذا بعد؟

جميل صوتك المحمول بالريح الشمالية

ولهنا سئمناه [1]

يبرز هذا المقطع أن الشاعر قد استشرف كل صبره و أنه لم يعد يقوى على الاحتمال فاليهود قد أرقوا الشاعر وشعبه بأكاذيبهم المتواصلة عن السلام.

كما يبرز درويش في مقطع آخر من نفس القصيدة أن هذا الآخر المحتل بنشر الهلاك والردي، ويطلب من أحد أبناء شعبه أن لا يخضع لهم، يقول:

فلا تخضع لجنّاز الردى

قيثارك المنشود... [2]

تستمر رحلة درويش التي يصور بانه، قد ملأ أقدامه بجراح المسامير والأشواك يقول:

لا أحكي من "إسرائيل"

وفي قدمي مساء .. وإكليل

من الأشواك أحمله [3]

تعبير مثل هذه الصورة عن الوجع النفسي الذي وقع درويش أسيرا له نتيجة ما يزرعه اليهود من أشواك في طريق الفلسطينيين.

[1] محمود درويش، عاشق من فلسطين، الأعمال الكاملة، ص227-
[2] المصدر نفسه، ص230
[3] المصدر نفسه ،ص232

إضافة إلى ما سبق تجد صورة أخرى يرسم ملامحها درويش لأخر اليهودي العدو، يبرز فيها أنه يخاف من خنجر قد يطعنه في ظهره، لأنه إن حدث ذلك فإن أهله سيحزنون عليه، في حين أن اليهود الأعداء سيفرحون وسيسرهم ذلك، يقول في

قصيدته "صلاة أخيرة ":

يخيل لي أن خنجر غدر

سيحفر ظهري

فتكتب إحدى الجرائد:

"كان يجاهد"

ويجزن أهلي وجيراننا

ويفرح أعداؤنا [1]

فالشتات النفسي الذي أصبح يحياه درويش بسبب الآخر اليهودي،قد جعله يتخوف من الحاضر والمستقبل، وجعله يفقد الثقة في كل من حوله.

يتابع درويش في نفس القصيدة تصوير الآخر اليهودي العدو بأنه طاغية هذا الزمان يمتطي مهرة، والمهرة في هذا المقطع، هي رمز لحبيبته فلسطين فهؤلاء الطغاة يحاولون شل حركة شعبه وبلاده ويحاولون تسييرها وفق مبادئهم وأهدافهم يقول درويش:

[1] محمود درويش، عاشق من فلسطين، الأعمال الكاملة، ص235.

أيا مهرة يمتطيها طغاة الزمان

وتفلت منا. [1]

يشير (محمود درويش) كذلك إلى صورة أخرى من صور العدو اليهودي، في ديوانه لماذا تركت الحسان وحيدا" الصادر عام 1995، إذ نجد الله يستحضر الشجر ويصور بأنه يحرس ليل الذين يرغبون في رؤيته ميتا ويرغبون في إفناء الشعب الفلسطيني واقتلاعه من جذوره يقول في قصيدته **"أرى شبحي قادماً من بعيد "**،

أطلّ على شجر يحرسُ الليل من نفسه

ويحرس لوم الذين يحبونني ميّتْ[2]

يحاول درويش في قصيدة **"قرويون من غير سوء"**، استحضار صورة للآخر اليهودي العدو، من خلال عرضه لصفات يتميز بها هذا العدو، فعندما يحاول رسم صورة للآخر اليهودي من خلال مرأة الأنا فإنه يحاول بذلك تقديم صورة أكثر وضوحا لهذا الآخر، إذ إن « صورة الآخر تبدو أكثر وضوحاً في مرآة الأنا»[3]

يقول درويش:

حن أيضا لنا صرخة في الهبوط إلى حافة

الأرض، لكننا لا نخزن أصواتنا

[1] المصدر نفسه، ص237.

[2] محمود درويش، ديوان لماذا تركت الحصان وحيدا، دار رياض الريس للكتب والنشر بيروت، لبنان، طه، 2009،ص12

[3] نهال مهيدات، الآخر في الرواية النسوية العربية، عالم الكتب للنشر والتوزيع، اربد الأردن، ط1، 2008، ص 104

في الجرار العتيقة. لا نسق الوعل

فوق الجدار ، ولا ندعي ملكوت الغبار ،

وأحلامنا لا تطل على عنب الآخرين،

ولا تكسر القاعدة! [1]

فعندما يصف درويش ذاته وذات شعبه، ويصف الصفات التي يمتاز بها يحاول إعطاء صورة مضمنة للآخر اليهودي المحتل الذي يسلب شعب فلسطين أرضهم ويدعي امتلاك شيء هو في الأساس ليس له.

يصور درويش الآخر اليهودي كذلك بأنه ذنب يعوي في البراري، وبأنه انكشاري سقط عن بغلة الحرب وأن صمود الفلسطيني، هو الذي سيؤدي إلى النجاة يقول في قصيدته

"أبدّ الصبار":

تفتح الأبدية أبوابها، من بعيد،

لسيارة الليل، تعوي ذئاب

البراري على قمر خائف، ويقول

أب لابنه: كن قويا كجدك!

وأصعد معي لثّة السنديان الأخيرة

يا ابني، تذكر : هنا وقع الانكشاري

عن بغلة الحرب، قاصمد معي

[1] محمود درويش، لماذا تركت الحصان وحيدا (الديوان)،ص25.

لنعود. [1]

فكأّن درويش يحاول في هذا المقطع استحضار ذكرى عودته من لبنان إلى أرض الوطن متسللا رفقة عمه،مشيرا في نفس الوقت إلى الصعوبات التي واجهته، والخوف النفسي الذي اعتراء فما الابن الذي يتحدث عنه إلا ذاته الثانية في

غياهب الانفلات.

يصور درويش كذلك في قصيدته **"سنونو التتار"**، أن الآخر اليهودي مثل التتار،وأنه منذ أتى إلى أرض فلسطين، غير أيامه، وأن أيامه قد أصبحت ضده

يقول:

لنا نحن أهل الليالي القديمة، عاداتُنا

في الصعود إلى قمر القافية

نصدق أحلامنا ونكذّب أيامنا،

فأيّامنا لم تكن كلها معنا منذ جاء التتار. [2]

فاليهود هم نثار جدد يجوبون أرض فلسطين وينشرون فيها الرعب والخوف والحيرة في أوساط الشعب الفلسطيني، فمنذ جاء اليهود أصبحت أيام الفلسطينيين

داكنة وحالكة.

[1] المصدر نفسه ،ص34

[2] محمود درويش، لماذا تركت الحصان وحيداً(الديوان)،ص60-61.

وفي قصيدة **"مصرع العنقاء"**، نجد أن (محمود درويش) يصور الآخر العدّو بأنه صيّاد، يحاول اصطياد أبناء شعبه يقول:

غيمة من لَيْلَكٍ تكفي

لتخفي

خيمة الصياد عنّا. [1]

فدرويش المضطهد مثل شعبه، يتمنى لو أن هناك غيمة من ليلك تطل على أرض وطنه لتكون حاجزا بينه وبين هذا الآخر، الذي أضحى يضيق الخناق عليه وعلى شعبه.

كما يرسم (درويش)، في قصيدته **"للغجرية سماء مدربة"**، صورة أخرى للعدّو اليهودي، إذ تجد أنه ينعته بأنه مجرد صعلوك، وأنه لا يختلف عن الغزاة القدامي فهو ينتهج أساليب القمع والاستبداد التي يمارسها الغزاة ولا يختلف عنهم، فهو يحمل الصفات نفسها التي يحملونها يقول:

عندما ، في نواحي السنونو، هبطت علينا

فَتَحْنَا على الأبديّة أبوابَنَا صاغرين، خيامُك

جيتارة للصعاليك، نعلو وترقص حتى مغيب

الغروب الهدمّى على قدميك، خيامُكٍ

جيتارة لخيول الغزاة القدامي تكرّر

[1] المصدر نفسه، ص 92.

لتصنع أسطورة الأمكنة.[1]

فدرويش يخاطب أرض فلسطين واصفاً أنها قد أضحت رهينة تلعب بها أيدي الغزاة اليهود.

يضاف إلى ما سبق، أن درويش قد صور اليهود في قصيدته **"شهادة من برتولت بريخت أمام محكمة عسكرية 1967"**، إذ يقول مخاطباً أحد القضاة اليهود ومصورا في نفس الوقت اليهود:

لكنّ رعاياك يجزون سمائي خلفهم... مبتهجين

ويطلون على قلبي، ويرمون قشور الموز

في البئر. ويمضون أمامي مسرعين

ويقولون: مساء الخير، ، أحياناً،

ويأتون إلى باحة بيتي... هادئين

وينامون على غيمة نومي... آمنين ويقولون كلامي نفسه،

بدلاً مني.[2]

صوّر درويش الآخر اليهودي، بأنّه من رعايا القاضي الذي يخاطبه وأنّهم قد جسّو نبض قلبه، وبدّلوا حياته، وأنهم قد غزو أرض بلاده، حتى أصبحوا يعتبرون فلسطين وطنهم، وصاروا فيها آمنين خالحرب النفسية التي يشنها قادة

[1] محمود درويش، لماذا تركت الحصان وحيداً(الديوان)، ص136
[2] محمود درويش، لماذا تركت الحصان وحيداً(الديوان)، ص152.

اليهود وخدامهم على الشعب الفلسطيني،قد قذفت الرعب في قلب شاعرنا،وقد أوصدت أبواب الأمل لديه،فكأنه يبدو في هذا المقطع يائسا.

يعمد محمود درويش في قصيدة **"خلاف غير لغوي مع امرئ القيس"**، إلى تصوير الآخر اليهودي، مجسداً بأنه قد انتصر عليهم، وأنه قد صور كل ما يرغب فيه من أرض وطنه، وأنه قد غير جرس الوقت الذي كان يعتمد عليه في حياته يقول:

أغلقوا المشهد
إنتصروا
صوّروا ما يريدونه من سماواتنا
نجمةً.... نجمةً
صوروا ما يريدونه من نهاراتنا
غيمةً غيمةً
غيّروا جرس الوقتِ

وانتصروا... [1]

تتجلى للآخر اليهودي العدّو، صورة أخرى، في ديوان محمود درويش "حالة حصار"، الصادر عام 2002،والذي يحوي قصيدة واحدة هي حالة حصار،إذ نجد درويش، يصور العدو اليهودي بأنه دائم التخطيط من أجل زلزلة كيان

[1] محمود درويش، لماذا تركت الحصان وحيداً (الديوان)، ص157

الفلسطينيين فحياة الفلسطينيين لم تعد أمنة، منذ وطئت أقدام اليهود أرض فلسطين، يقول:

لا ليلَ في ليلنا المتلألى بالمدفعيةِ

أعداؤنا يسهرونَ،

وأعْدَاؤنَا يُشعْلِون لنا النور

في حلكة الأقبيّة. [1]

فالحرب النفسيّة التي يشلها قادة اليهود وخدامهم على الشعب الفلسطيني قد قذفت الهلع والرعب في قلب شاعرنا ،وقد أوصدت أبواب الأمل لديه فكانه يبدوا في هذا المقطع فاقدا للأمل ،جراء الحصار النفسي والجسدي الممارس عليه وعلى شعبه.

وفي مقطع آخر يستحضر مقدار الألم الذي يتسبب فيه اليهود المحتلون له ولأبناء شعبه يبرز هذا في قوله:

الأَلَمُ

[1] محمود درويش، ديوان حالة حصار، دار رياض الريس للكتب والنشر، بيروت، لبنان ،ط2، 2002، ص10

هو : أن لا تعلق سيدة البيت حَبْلَ الغسيلِ

صباحاً، وأن تكتفي بنظافة هذا العلم. [1]

فمن خلال رسم درويش الصورة المرأة الفلسطينية، التي توقعت عن تعليق حبل الغسيل، يبرز أن السبب الرئيسي الذي منعها من ذلك هو قمع اليهود، الذين يتسببون في نشر الرعب والهلع في أوساط الفلسطينيين، فالألم في قلب شاعرنا عميق تسبب اليهود الطغاة في نشره.

يواصل درويش في مقطع آخر، تصوير الآخر بأنّه جنرال يبحث عن دولة غط أهلها في نوم عميق يقول:

هنا جنرال يُنَقِبُ عن دولة نائمة

تحت أنقاضِ طروادةَ القادمة. [2]

فقد أصبح الفلسطيني أقل ذكاء مما كان عليه، لأنه مكتوف الأيدي، فعدوه قد حرمه الحرية والطمأنينة، فالليل عنده لم يعد ليلاً لأن مدفعية العدو تقصف وتضيء ما حوله من عتمة، لكن الإضاءة فيها حصار للفلسطيني، وحصار للسكون الذي

يشعر به الإنسان في ليله.

[1] محمود درويش،حالة حصار (الديوان)، ص15

[2] المصدر نفسه، ص 16

وبعدما أبرز درويش هذه الصورة النمطية للعدو، تجده في مقطع آخر يوجه خطاباً له ويفتح معه باب الحوار الذي ينم عن عدم عنصرية درويش إذ كان حواره للآخر حضارياً يقول:

أيّها الواقعون على العتبات أدخلوا،

واشربوا معنا القهوة العربية

" قد تشعرون بأنكم بشر مثلنا "

أيها الواقفون على عتبات البيوت،

أخرجوا من صباحاتنا،

نطمئن إلى أننا

بشر مثلكم. [1]

فامتلاك درويش الثقافة واسعة عن هذا الآخر اليهودي الذي يخاطبه في هذه القصيدة، جعل منه يتقن أسلوب الحوار معه.

يصور درويش في خطاب آخر ، اليهود بأنهم ساهرون دائماً على تحطيم أحلامه وأمال الفلسطينيين، دون كلل أو مال لأن ذلك يمنعهم يقول:

أيّها الساهرون! ألم تتعبوا

من مراقبة الضوء في مِلْحِنَا؟

ومن وهج الورد في جُرْحِنَا

ألم تتعبوا أيّها الساهرون؟ [2]

[1] محمود درويش، حالة حصار (الديوان) ، ص18.
[2] محمود درويش، حالة حصار (الديوان)، ص 4

يبرز درويش في هذا المقطع أنه قد مل من محاصرة العدو لشعبه وأرضه فهو قد ضاق ذرعاً منهم ومن وجودهم، خاصة وأنهم يمارسون مختلف الأعمال الشنعاء في حق الفلسطينيين، ويسلطون عليهم مختلف أنواع العذاب.

يمكن القول، إنّ (درويش) قد عمد إلى تصوير الآخر اليهودي بالعدو في دواوينه المتطرق إليها ،وقد كانت هذه الصورة سلبية ونمطية تعددت دلالاتها ومضامينها حسب الحالة النفسية للشاعر الذي صور هذا الآخر من خلال مختلف التجارب التي مر بها ،إلا أنه تجدر الإشارة إلى أن هذا العدو الذي سعى في تصويره يتجلى أساساً في قوى اليهود الاستعمارية، التي سعت لطمس معالم الفلسطينيين، إنه عدو يتمتع بالقوة العسكرية، ويملك جميع الوسائل القمعية، التي سخرها وجندها لخدمة مصالحه في مقابل بعثرة مصالح الشعب الفلسطيني.

وقد عمد درويش في تصويره للآخر اليهودي العدو، إلى توظيف الرموز في بعض الأحيان، والتصريح به أحيانا أخرى، خاصة عند مخاطبته لهذا العدو، فالعدو اليهودي المصور في هذه الدواوين، يعبر عن صورة الآخر المستعمر والمتسلط والمتجبّر.

ثانياً: صورة المنفى:

ورد المفهوم اللغوي للنفي في معجم لسان العرب على أنه «نفي الشيء، ينفي نفيا: تنحّى، ونفيته أنا نفياً... والنفي: ما نفته الحوافر من الحصى وغيره في السير" [1]

فالنفي هو إزالة الآخرين عن الطريق، وإقصائهم وإبعادهم قصد التقليل من الأذى الذي يصدر عنهم، بالنسبة للذي يقوم بعملية النفي ، وعملية النفي تستلزم وجود طرفين يكون أحدهما نافي والآخر منفي.

إضافة إلى أن عملية النفي، هي نتيجة حتمية لمختلف الخلافات التي تنشأ بين طرفين ،إذ يكون فيها النافي أعظم قوة وسيطرة من الشخص المنفي "وتعتبر تجربة النفي ببعديها الواقعي والرمزي البوصلة التي تحدد درجة الصراع وحدته"، [2] فالنفي هو إحدى الطرق التي يتم من خلالها كبح جماح المنفي، والزج به في غياهب الغربة وألم فراق الوطن، كما قد يكون هذا النفي داخل حدود التراب الوطني إلا أنّ قوى الاضطهاد تجعل هذا البلد منفى لأصحابه وأهله.

[1] ابن منظور، لسان العرب، مادة نفي، ج4، ص329-330
[2] عبد القادر الغزالي، الصورة الشعرية وأسئلة الذات،ص12

ومحمود درويش من الذين جسّدوا صورة للآخر اليهودي على أنه يمثل المنفى بالنسبة له ولشعبه، فكيف رسمت ريشة درويش الشعرية الآخر المنفى في أشعاره؟

إذا ما قفزت عيناك بين ثنايا قصائد محمود درويش، فإنّك تتلمس بعض الصور التي يحاول أن يرسمها للآخر اليهودي المنفى، وتتجلى مثل هذه الصورة في قصيدته

"عاشق من فلسطين" إذ يقول:

أسأل حكمة الأجداد

لماذا تسحب البيّارة الخضراء

إلى سجن، إلى منفى إلى ميناء

وتبقى رغم رحلتها

ورغم روائح الأملاح والأشواق

تبقى دائما خضراء[1].

فعندما يعرض درويش صورة لأرض فلسطين، ويرى بأنها تبقى دائما خضراء يرسم في المقابل صورة ضمنية للآخر اليهودي المنفي، فتساؤل محمود عن خضرة الأرض،رغم ما تمر به من محن يوحي بأن هناك دائما يد تحاول أن تتّنس اخضرار أرضه وتحاول العبث بها لتحيلها إلى منفى، ثم يكمل درويش قائلا:

[1] محمود درويش عاشق من فلسطين، الأعمال الكاملة، ص159-160.

ولكنّي أنا المنفي خلف السور والباب.[1]

فدرويش هو تلك القطعة المبعثرة الثنايا في بلده، فهو يعاني من وجود قوّة ردعيّة قاهرة، تحرمه هو وشعبه من التجوال والكلام وحتى التفكير، إن نافي درويش وشعبه سلطوي، ويملك قدرة قمعية للشعوب.

أما في قصيدته " **تموز والأفعى**" فنجده يقول:

فتساءل المنفي:

كيف يطيع زرع يدي

كفا تسمم ماء أباري.[2]

ففي هذا المقطع، يتساءل درويش بحرقة، عن السبب الذي يجعل من أرض بلاده تطيع الكف التي كانت سبباً في تشريده وحرمانه من أحضان وطنه الغالي.

يستحضر (درويش) في مقطع آخر من قصيدته **"وشم العبيد"**،رمز مكاني وهو بابل،إذ نلحظ أنّ درويش قد حور هذا الرمز ليدلل به على صورة الآخر المنفى،إذ بعد رمز بابل رمزا للعبودية والإذلال والسبي والأسر،وهي وشم العبيد الذي يميزهم عن الأحرار ، إذ اعتبرت منذ القدم رمز إذلال لبني إسرائيل في الكتاب المقدس،إذ قام نبوخذ نصر البابلي بصبي اليهود" [3]

وقد وظف درويش هذا الرمز في قصيدته مغيرا الأدوار ،إذ يعتبر أن اليهود في الوقت الحاضر يمثلون نبوخذ نصر البابلي إذ إنهم يقومون بسبي الشعب

[1] المصدر نفسه، ص162.
[2] محمود درويش عائلق من فلسطين، الأعمال الكاملة، ص181
[3] عمر احمد الربيحات، الأثر التوراتي في شعر محمود درويش،دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، در 2006، ص108.

الفلسطيني وإذلاله،فملابس الظلم قد تغيرت إذ تحول اليهود إلى أياد تبطش في وجه الفلسطينيين وتطفئ نور حياتهم،يقول درويش:

كان العبيد عزلا

ففتنوا البلاط !

بابل حول جيدنا

وشم صبايا عائدة

تغيّرت ملابس الطاغوت[1]

ففي هذا المقطع تبرز صورة اليهودي بأنه من يمارس فعل النفي والسبي أما المسبي في هذا الزمن هو الفلسطيني،الذي نفاه اليهودي في عقر داره وجرده من ممتلكاته،وغزا فطرته وطهارته ونقاوته.

أما في قصيدته **"نشيد"**، فتتجلى لنا صورة درويش وهو ينطق باسم شعبه معبرا عن خروجه من قوقعة المنفى التي أدخله فيها اليهودي عنوة وظلماً يقول:

وكل يتيمة في الأرض

إذا نادت نناصرها

سنخرج من معسكرنا

ومن خانا.[2]

فمثل هذا المقطع يبرز أن درويش، يعتبر أن شعبه منفي داخل أرضه من قبل قوى الاحتلال اليهودية الإسرائيلية، ولكنه رغم ذلك يبدي تحديا لهذا الآخر.

وتتجلى صورة أخرى للآخر اليهودي المنفى في نفس القصيدة يقول درويش:

[1] محمود درويش، عاشق من فلسطين،الأعمال الكاملة،ص186.
[2] المصدر نفسه،ص226.

أريد محمد العرب

نعم من أنت

سجين في بلادي

بلا أرض

لا علم

لا بيت

رموا أهلي إلى المنفى. [1]

نجد أنّ درويش في هذا المقطع يقوم بإجراء مكالمة هاتفية خص به النبي محمد صلى الله عليه وسلم، باعثا من خلالها رسالة مشفرة تحيل إلى أن درويش وأهله يعانون من غياب الهويّة وغياب الانتماء فالآخر اليهودي قد أحال أيام شعبه ظلمة حالكة، وأطلق في وجوههم وسائل قمعية، يسعى من خلالها جاهداً، لسلب حرية الفلسطينيين وجعلهم يسكنون دفاتر المنسيين، حتى تبقى أرض فلسطين أرضا من دون شعب فدرويش يشكو غصب أرضه وسلب حريته وألم الغربة في المنفى، التي أثقلت كاهله و كاهل شعبه كيف لا وهو يرى سلطات اليهود تسعى دائما لتهجير الفلسطينيين من أراضيهم وإحلال اليهود في أماكنهم عن طريق الهجرات التي تنظمها إلى أرض فلسطين.

يستمر (محمود درويش) في ديوانه **"لماذا تركت الحصان وحيدا"** في رسمه لصورة خاصة بالآخر المتمثل في المنفى،من خلال تجربة مر بها ،فهذا الديوان هو عبارة عن سيرة ذاتية لحياة الشاعر،إذ يقول في قصيدته

"قرويون من غير سوء" :

[1] محمود درويش، عاشق من فلسطين، الأعمال الكاملة، ص232

... واكتفينا بأغنية: سوف نرجع

عمّا قليل إلى بيتنا... عندما تفرغ الشاحناتُ

حُمولتَها الزائدة ! [1]

يربط (محمود درويش) عودته وعودة شعبه إلى أرض بلاده بمغادرة اليهود من وطنه، إذ إنهم يقفون حائلا بينهم وبين عودتهم، فدرويش يعتبر أن اليهود هم السبب الرئيسي في رحيله وأن عودته مرهونة برحيل هذا الآخر.

يرسم (محمود درويش) في مقطع آخر من قصيدته " **أبدُّ الصبار**"، ملامح أحد الفلسطينيين الذي اضطر لترك أرضه وبيته وأصبح منفيا يبحث عن ملجأ يركن إليه ودلالات الرحيل تتضح في قوله:

ومن يسكن البيت من بعدنا

يا أبي؟

سيبقى على حاله مثلما كان

يا ولدي [2]

إلى أن يقول:

لماذا تركت الحصان وحيداً؟

لكي يؤنس البيت، يا ولدي،

فالبيوتُ تموتُ إذا غاب سُكّانهَا... [3]

[1] محمود درويش، لماذا تركت الحصان وحيداً(الديوان)، ص27.
[2] محمود درويش، لماذا تركت الحصان وحيدا(الديوان)، ص33
[3] المصدر نفسه، ص33-34.

فهجرة هذا الفلسطيني رفقة ابنه تعبّر عن جميع الفلسطينيين الذين اضطروا إلى مغادرة أرضهم خوفاً من بطش نافيهم،كما تعبر عن درويش الذي ترك وطنه.

تجلى صورة أخرى للآخر المنفى من خلال تنكر درويش لموسم الحصاد واشتياقه إلى فلسطين يتجلى هذا في قصيدته **"كم مرة ينتهي أمرنا"** يقول:

يحدثني صيف لبنان عن عِنبي في الجنوب
يحدثني صيف لبنان عما وراء الطبيعة
لكن دربي إلى الله يبدأ
من نجمة في الجنوب... [1]

فدرويش عندما يتذكر عنب أرضه، يستحضر ضمنياً الآخر اليهودي الذي كان سبباً في مغادرته فلسطين، فاستحضار درويش لعنب أرضه هو نتيجة منطقية وطبيعيّة،فدرويش قد عانى من بطش اليهود، " فضلا عن شتاته وتوزعه على الوطن ومنافي كثيرة".[2]

يعبّر درويش في قصيدته " **عود إسماعيل** " ،عن الحالة التي آل إليها الفلسطينيون الذين يعانون من التهجير والنفي إذ يمثل إسماعيل "رمز الغربة الفلسطينية الدرويشية، إذ تعبّر غربة إسماعيل عن الغربة الدرويشية في هذا

[1] محمود درويش، لماذا تركت الحصان وحيداً (الديوان)، ص36-37.
[2] خالد عبد الرؤوف الجبر، غواية سيدورى،قراءات في شعر محمود درويش،دار جرير للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2009،ص133

الديوان" [1]، ويضفي درويش على هذه الغربة مضامين تدل على الآخر المنفي

يقول درويـــش:

كيفية الصحراء، ينصر الفضاءُ عن الزمان

مسافة تكفي لتنفجر القصيدة، كان إسماعيلُ

يهبطُ بيننا، ليلا وينشد: يا غريبُ،
أنا الغريبُ، وأنتُ منّي يا غريبُ، فتوحلُ
الصحراء في الكلمات [2]

فاغتراب درويش الذي عاشه في أرض الوطن قد كان أصعب بالنسبة له من الاغتراب خارج وطنه، فأن تعيش منفيا في أرضك فهذا موت في الحياة.

يصور درويش في مقطع آخر، من نفس القصيدة أن الآخر السلفي،

يحاصره حتى وهو في مرفاه ، يقول:

لا أحلامنا تصحو ، ولا حَرسُ المكان

يغادرون فضاءَ إسماعيل. لا أرضٌ هناك

ولا سماء[3]

فاليهود يلاحقون الفلسطينيين حتى وهم في منفاهم ولا يتركون لهم متنفساً.

تتجلى صورة أخرى للآخر المنفى في قصيدته" **شهادة من برتولت بريخت أمام محكمة عسكرية**" ،إذ يصور درويش أن الدنيا قد ضاقت به وأن الآخر

[1] عمر أحمد الربيحات، الأثر التوراتي في شعر محمود درويش، ص 100.
[2] محمود درويش، لماذا تركت الحصان وحيدا(الديوان)، ص46.
[3] المصدر نفسه، ص47.

اليهودي قد سرق منه كل شيء،حتى أحلامه وهويته، وأن حياته قد صارت ضياعا في ضياع،فقد أضحى درويش يعيش في عالم يأكل فيه القوي أرض الضعيف دون خجل ويصر على أنها حق شرعي بالنسبة له ،يقول درويش:

.....إن

ضاقت بي الزنزانة امتدت بيَ الأرض،

ولكن رعاياك يجستون كلامي غاضبين

ويصيحون بآخاب وإيزابيل: قوما ، ورثا

بستان نابوت الثمين!

ويقولون: لنا الله

وأرض الله

لا للآخرين[1]

يصور درويش أن الآخر اليهودي يصيح بأخاب وإيزابيل لكي يقوموا بنفي الفلسطينيين من أرضهم كي يأخذوا أرضه، ويشبه ما حدث اليوم للفلسطينيين بما حدث "لنابوت اليزرعيلي مع الملك آخاب وزوجته إيزابيل، عندما قاما بقتله ووراثة بستانه" [2]، فالفلسطينيون يمثلون نابوت القتيل في حين أنّ اليهود هم آخاب وإيزابيل اللذان يسعيان إلى إفناء العنصر الفلسطيني من أرضه ونفيه

[1] محمود درويش،لماذا تركت الحصان وحيدا(الديوان)،ص153

[2] عمر أحمد الربيحات،الأثر التوراتي في شعر محمود درويش،ص218.

وتهجيره ووراثة أرضه،فاليهود يعتقدون بأنهم شعب الله المختار وأن فلسطين أرضهم.

أما في ديوانه **"حالة حصار"** فتبرز صورة الآخر المنفى في قوله:

في الطريق المضاء بقنديل منفى
ارى خيمة في مهب الجهاتْ
الجنوبُ عصيّ على الريح ،
والشرق غربٌ تصوف

والغرب هدنة قتلى يشكون نقد السلام.

وأما الشمال، الشمال البعيد

فليس بجغرافيا أو جهة

إنّه مجمع الآلهة! [1]

أمّا عندما يستحضر درويش الآخر المنفى في هذا المقطع، فإنه يدلل عليه من خلال تصويره لطريقه ودربه الذي أصبح منفى وهو نائ فيه.

ويحس درويش في مقطع آخر أن الآخر اليهودي قد أصبح يمثل منفى في كل شيء فهو ساهر دائماً على خلق الفلسطينيين بحصارهم وكبح جماح حريتهم

يقول درويش:

[1] محمود درويش، حالة حصار (الديوان)، ص40

أيّها الساهرون! ألم تتعبوا

من مراقبة الضوء في ملحنا؟

ومن وهج الورد في جرحنا

ألم تتعبوا أيّها الساهرون. [1]

تبرز صورة الآخر المنفى كذلك في الحصار الذي يمارسه اليهود في حق الشعب الفلسطيني، فهذا الآخر المنفى قد أوقف عقارب الساعة عن الدوران وغير مفاهيم المكان، يقول درويش:

في الحصار، يصير الزمان مكاناً

تحجر في أبدَهِ

في الحصار، يصير المكان زماناً

تخلف عن مَوْعِده[2].

فالحصار قد غدا نوعاً من أنواع النفي داخل أرض الوطن، فاليهود قد أحالوا هذا الحصار جحيماً للفلسطينيين، فدرويش قد مورس عليه الحصار في العديد من المناسبات، خاصة ذلك الحصار الفكري الذي كان يستهدفه من قبل اليهود قصد إسكات صوته.

[1] المصدر نفسه، ص 47.
[2] محمود درويش، حالة حصار (الديوان)، ص74

ومجمل القول إنّ صورة الآخر المنفى كانت سلبية وقد تجلت في قصائد (محمود درويش)، وبرزت من خلال تصوير الشاعر لذاته وما آلت إليه الأوضاع في فلسطين، ومن خلال تذكر ملامح وطنه، أو تبيان أن الآخر اليهودي قد أحال فلسطين منفى لأصحابها وذلك جزاء مختلف الممارسات التي يقوم بها لتضييق الخناق على أهلها، ذلك "أن المنفي لا يعني دائماً الوجود خارج الوطن، فكل مكان للانفصال هو منفى بمعنى من المعاني، فقد يوجد الشاعر داخل الوطن ولكنه يعيش غريباً ".[1]

ثالثاً: صورة الجندي:

إن «الجند معروف، والجند الأعوان والأنصار والجند العسكر والجمع أجناد»[2] إذ إنهم يمثلون صنارة الصيد التي يرمي بها زعماء اليهود من أجل اصطياد الفلسطينيين.

فالجنود يمثلون في الغالب الواجهة الحربية، التي يعدها رؤساء وقادة الشعوب من أجل تحضيرهم لتنفيذ مخططاتهم داخل أراضي البلدان التي يحتلونها، أو أنهم قد يمثلون الواجهة الدفاعية التي يحتمي بها قادة ورؤساء الشعوب، قصد بث الأمن والأمان داخل أراضيهم لهم ولشعوبهم.

[1] فتيحة كحلوش، بلاغة المكان، قراءة في مكانية النص الشعري، مؤسسة الانتشار العربي . بيروت، لبنان، ط1، 2008، ص146.

[2] ابن منظور، لسان العرب، مادة جند، م3، ص214

ويفعل معايشة الشعب الفلسطيني لمختلف أوضاع الاحتلال من طرف اليهود فقد جرت مختلف الصدامات والمواجهات التي جمعت بينهم وبين جنود الاحتلال وبما أن الشعراء يعايشون مختلف الظروف التي يمر بها أهلهم، فإننا نجد أن محمود درويش، ترك هو الآخر بصمته إذ يعمد إلى تصوير الآخر اليهودي المتمثل في الجندي في قصائده، فما هي اللوحة التي رسم من خلالها درويش الآخر الجندي في قصائده؟

لقد كان احتكاك الفلسطينيين بالجنود اليهوديين أكثر من احتكاكهم بغيرهم من اليهود، وليدا فإن محمود درويش قد ذهب إلى تصوير الآخر الجندي في أشعاره ووسمة بالعديد من الصفات والصور، إذ يرسم محمود درويش في قصيدته " **قال المغني**"، صورة لأحد أبناء فلسطين ويقابلها بصورة للأخر اليهودي المتمثل هنا في الجنود الذين اقتادوا أحد الفلسطيني إلى السجن، إذ يصور درويش من خلال هذه القصيدة قضاعة وقسوة الجنود اليهوديين، الذين يمارسون مختلف وأبشع أنواع القمع والمعني ... والاستعباد للآخر الفلسطيني، يقول:

ابعدوا عنه سامعيه

والسكارى...

وقيدوه

ورموه في غرفة التوقيف

شتموا أنه، وأم أبيه

يتغنى يشعر شمس الخريف

يضمد الجرح... بالوتر.[1]

فقد تعرض درويش في العديد من المرات لمضايقات الجنود اليهوديين، وما هذه الصورة إلا تعبير صارخ من قبل درويش لتجسيد الظلم والاضطهاد الممارس من طرفهم.

وتتمظهر صورة الجندي اليهودي في قصيدة "أرى شبحي قادماً من بعيد"، إذ يصور درويش هذا الآخر، وهو يمارس أعمال التخريب في أرض بلاده ويغير ألوانها، يقول:

أطل على نورس، وعلى شاحنات جنود

تغير أشجار هذا المكان .[2]

فالجندي اليهودي هو الآلة الفعلية التي يبطش بها الأعداء في وجه الفلسطينيين، وما الأشجار إلا تعبير عنهم، إن طالما تسعى السلطات اليهودية من خلال استعانتها بالجنود في طمس معالم وهوية الفلسطينيين، لدرويش قد أصبح يعي مختلف الممارسات التي يقوم بها الجنود، وهذا ما ترسخ في ذهنه منذ طفولته.

يعمد درويش في قصيدته "**ليلة البوم**"، إلى تصوير الجنود اليهود بأنهم غرباء يقول وهو يسرد الطريقة التي يمضي بها اليوم ليلتهم:

ها هنا حاضر عابر،

ههنا على الغرباء بنادقهم فوق

أغصان زيتونة، وأعدوا عشاء

[1] محمود درويش، عاشق من فلسطين، الأعمال الكاملة، ص 165-166

[2] محمود درويش، لماذا تركت الحصان وحيدا (الديوان)، من 11

سريعاً من العلب المعدنية، وانطلقوا

مسرعين إلى الشاحنات. [1]

يقدم (درويش) في هذا المقطع ملمحا من ملامح الحياة التي يحياها جنود اليهود، حين يكلفون بأعمال داخل أرض فلسطين من طرف حكامهم، فدرويش الذي صفحه مرارة الحياة في ظل سيطرة العدو اليهودي، قد جعلته بعت حدود اليهود بالبوم ومثل هذه الصورة تبرز شعور درويش بالدونية نحو الأحر اليهودي الجندي فهو يحتقره ويقدم له صورة دميمة تدل على أن قلب درويش قد أصبح بحرا عميقا مليئا بالآلام والآهات.

يرسم درويش في قصيدته "أبد الصبار"، صورة أخرى للجنود اليهودي، اذ يتحدث درويش عن عودة أحد الفلسطينيين رفقة ابنه إلى أرض فلسطين، وكيف لاقاهم الجنود اليهود، يقول:

...وهما يخرجان من السهل، حيث

اقام جنود بونابرت تلا لرصد

الظلال على سور عكا القديم[2]

تبرر صورة الجندي من خلال هذا المقطع في صورة الحاجر والمانع، لعودة الفلسطينيين إلى أرض بلادهم، بعد أن أخرجوا منها ظلما وعدوانا، إذ يعادل درويش في هذا المقطع بين جنود اليهود في الوقت الحالي، وبين جنود بونابرت في القديم الذي تميز بعنجهيته وعنفوانه صد مصر، ومن هنا يبدو أن

[1] المصدر نفسه، ص 31

[2] محمود درويش، لماذا تركت الحصان وحيدا(الديوان)، ص32

درويش قد وظف هذا الرمز التاريخي بونابرت– لتكون صورة الآخر أكثر وضوحاً، كما أن هذا يتم عن ثقافة الشاعر.

يبرز الشاعر في نفس القصيدة صورة أخرى للجندي اليهودي مستعينا في رسم صورته برمز يهوشع بن نون وهو «من بني حضارته على أنقاض حضارة غيره وحرابها، فهو البطل الفاتح لأرض فلسطين... فدمر أريحا ومنع السكن فيها أو حتى إعمارها»[1]، يقول درويش:

وكان جنود يهوشع بن نون يبدون
قلعتهم من حجارة بينهما. وهما
يلهثان على درب قانا": هنا
مر سيدنا ذات يوم. هنا
جعل الماء خمرا. وقال كلاما
كثيراً عن الحب، يا ابني تذكر
عدا وتذكر قلاعا صليبية
تصمتها حشائش نيسان بعد
رحيل الجنود) ...[2]

يوظف (محمود درويش) زمر "يهوشع بن نون" للتعبير عن العدوان الذي يمارسه جنود اليهود، إذ يصور دخول الجنود اليهود إلى أرض فلسطين، بصورة مقاربة لدخول جنود يهوشع بن نو ن بعد موت سيدنا موسى عليه السلام، في العهد القديم.

[1] عمر أحمد الربيحات، الأثر التوراتي في شعر محمود درويش، ص69
[2] محمود درويش، لماذا تركت الحسان وحيدا (الديوان)، ص 34-35

وان كانت المقاربة التي وظفها درويش بين جنود اليهود وجنود يهوشع بن نون تتجلى في أن جنود يهوشع بن نون، قد سعوا إلى خراب المدن وتدميرها، في حين أن جنود اليهود بيدونها من حجارة الفلسطينيين.

يستعرض درويش في ديوانه "**حالة حصار**"، صورة أخرى للأخر الجندي ويواريها بصورة الفلسطينيين، أي أنه قد أجرى موازنة بين الذات والآخر، يقول:

يقيس الجنود المسافة بين الوجود

وبين العلم

بمطار دبابة...

نفيس المسافة ما بين أجسادنا

والقديمة بالحاسة السادسة[1].

يبرز (درويش) في هذا المقطع أن جنود اليهود هم دائما السباقون في المباشرة فهم دائماً على أهبة الاستعداد من أجل إرسال قذائف دبا بلتهم صوب الفلسطينيين وان وسيلتهم من أجل الاستمرار والوجود هي رحلة الحرب التي يقودونها تحت إمرة حكامهم، بينما يبرز أن الفلسطينيين قد أصبحوا مكتوفي الأيدي فهم ينتظرون فقط لحظة الإغارة دون مواجهتها أو كبح جماحها، ويحسد درويش في هذه الصورة الياس الذي صار يشعر به، جراء النكسات التي يتسبب فيها الجنود للأرباء من الفلسطينيين، وهذا يبرر وقوع الشاعر في نوع من عدم التوافق النفسي قدرة تسط حمته ويتزايد أمله حتى يكاد يلثم العنان وتارة يبدو منكسرا مهزوما يتجرع الامه وأحزانه.

[1] محمود درويش، حالة حصار (الديوان)، ص 17

يصور درويش في مقطع آخر أن جنود الاحتلال اليهودي يحتمون باسرع بياناتهم، في حين أن جنود النصال الفلسطيني يحتمون بأشجار السرو، وإن بل هذا فإنه يدل على ارتباط الشاعر بالأرض من خلال توظيفه لأشجار السرو يتجلى هذا في قول درويش[1]:

شجرة السرو، خلف الجلود، مآذن
تحمي السماء من الانحدار، وخلف سياج
الحديد جنود يبولون– تحت حراسة دبابة [2]

وتظهر صورة أخرى للجندي اليهودي في مقطع آخر من هذه القصيدة، يقول درويش:

نحزن أحزاننا في الجرار، لئلاً
يراها الجنود فيحتفلوا بالحصار...
نخزنها لمواسم أخرى،
لذكرى
لشيء يفاجئنا في الطريق.

نجد أن درويش في هذا المقطع يصور خيبة الأمل التي يعيشها رفقة شعبه في ظل الحصار الممارس عليهم من طرف الجنود، فالجندي اليهودي في هذا المقطع يبرز في صورة المحاصر والقاهر لإرادة الفلسطينيين، ولهذا فإن درويش يصور أن الفلسطينيين قد أصبحوا يب حثون أحزانهم في جرار حتى لا يفرح هذا الآخر وينتشي بأغنية الحصار والانتصار.

[1] محمود درويش، حالة حصار (الديوان)، ص 36
[2] المصدر نفسه، مر39

يمكن القول إن صورة اليهودي، التي تجسدت في صورة الجندي، وفق ما ورد ذكره من تما ذج قد كانت صورة سلبية، إذ تمثل الجندي أساساً في صورة الآلة الردعية، الذي كان يخضع لأوامر حكامه، إنه تجسيد حقيقي لأوامر السلطات

اليهودية إذ يسعى دائماً لشل حركة الفلسطينيين، وإيقاف م دهم داخل حدود أرضهم فالجندي اليهودي، حسب ما ورد في القصائد والدواوين المتطرق إليها، قد مثل أعين السلطات اليهودية المنتشرة في كل أرجاء فلسطين.[1]

رابعاً: صورة السجان:

ورد التعريف اللغوي للسجان على أنه «صاحب السجن، ورحل سجين مسجون»[2]، فالسجان هو الذي يقوم بحرمان الآخرين من حريتهم. ومن المتعارف عليه أن «السجن في الحياة العامة ضروري ومرتبط بالانضباط والسبيل القويم ومنع التعدي على الآخرين»[3].

إذ يعد السجن إحدى الوسائل الردعية، للحد من مختلف الممارسات المخالفة للنظم والقوانين المتواضع عليها.

إلا أن هناك العديد من الذين دخلوا غياهب السجن ظلما وبهتاناً، خاصة أولئك الذين دخلوا السجون الخاصة بالقوى الاستعمارية.

وقد تعرض العديد من الأدباء والشعراء لتجربة السجن في العصر الحديث من بينهم أولئك الدين «حملوا قضية الوطن، وبشروا بها وأعطوها

[1] اين منظور، لسان العرب، مادة سجل، 70، ص 131

[2] سالم المعوش، شعر السجون في الأدب العربي الحديث، والمعاصر، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 2003، ص32

[3] المرجع نفسه، ص 11-12

الكثير من اهتمامهم فكانوا يشكلون حافزا إيجابياً للرقي والتقدم والحرية والعدل والمساواة، فيما كانوا يطرحون من قضايا تفيد الجماعة»، فالقوى الاستعمارية كانت تقف دائماً في وجه الأنباء الذين يحاربون بالكلمة.

وقد كان (محمود درويش) من الذين تعرضوا لتجربة السجن إذ سجن عدة مرات لأنه من الذين جندوا كلمتهم لصالح خدمة القضية الفلسطينية في وجه الاستعمار اليهودي، «إذ كانت دوريات من الشرطة الإسرائيلية تجمع عشرات من الأدباء والشعراء العرب في فلسطين المحتلة وتودعهم السجون» ، [1]وهذا ما جعله يرسم صورة خاصة به وبشعبه عن السجان اليهودي، فكيف صور محمود درويش الآخر اليهودي السجان في أشعاره؟

رصد (محمود درويش) صوراً مختلفة للآخر اليهودي السجان في قصائده، إذ تبرز صورة السجان في قصيدة "**شهيد الأغنية**"، إذ يقول درويش :

نصبوا الصليب على الجدار

فكوا السلاسل عن يدي

والسوط مروحة. دقات النعال

لحن يصفر: سيدي!

ويقول للموتى حذار!

يا أنت[2] !

[1] غسان كتقالي الأدب الفلسطيني المقاوم تحت الاحتلال 1948-1968، المؤسسة الفلسطينية للدراسات، بيروت، لبنان، د ط، 1968، ص27

[2] محمود درويش، عاشق من فلسطين، الأعمال الكاملة، ص 183

فالآخر اليهودي المتمثل في السجان، قد تعلم كل الأساليب التي يهين بها الآخر الفلسطيني، فهو يتل ذذ بتعذيبه، فدرويش الذي عاش وأرغم على التعايش مع غياهب السجن لسنوات قد عبر من خلال هذه الصورة عن الرعشة التي كانت تحيط وهو داخل حدود الزنزانة نتيجة حالة الرعب التي يقذف بها السجانون ويشير (محمود درويش) في قصيدته "**السجن**"، إلى أن السجان اليهودي قد غير الإسرائيلي قد غير طريقة حياته وموعد أكله وأنه أصبح يسير طريقة حياته، يقول:

تغير عنوان بيتي

وموعد أكلي

ومقدار تبغي تغير

ولون ثيابي، ووجهي، وشكلي

وحتى القمر

عزيز على هنا

فالسجان يمارس مختلف أنواع التع ذيب، الى درجة أنه يسعى الى تشويه الفلسطينيين وأجسادهم.

يصور (محمود درويش) في قصيدته " **برقية السجن** "الآخر اليهودي السجان بأنه يايقه أشد ألوان الع ذاب، فالسجان اليهودي يحاول دائما اسكات أفواه الشعراء ومنعهم من قول الشعر يتجلى هذا في قوله:

ومنعهم من قول الشعر يتجلى

وراء السور أشجاري

تطوع الجبل المغرور اشجاري

مد جنت أدفع مهر الحرف، ما ارتفعت

غير النجوم على أسلاك أسواري

أقول للمحكم الأصفاد حول يدي

هذي أساور أشعاري وإصراري

في حجم مجدكم نعلي، وقيد يدي

في طول عمركم المجدول بالعار. [1]

يصور درويش السجان اليهودي بأنه جبل مغرور، يحاول شل حركة المواطن الفلسطيني، ودرويش يرى بأن مجد اليهود يتساوى مع الحذاء الذي يلبسه وأن تاريخهم مليء بالعار نتيجة الجرائم التي ارتكبوها.

كما يصور درويش صموده في وجه السجان الذي يكبل الشعراء، وحالة المنع التي يتعرض لها المسجون في ظل جبروت السجان يقول في قصيدته" تحد:"

شدوا وثاقي

وامنعوا عني الدفاتر

والسجائر

وضعوا التراب على فمي

فالشعر دم القلب .[2]

[1] محمود درويش عاشق من فلسطين الأعمال الكاملة ص184

[2] المصدر نفسه، ص 199

يبرز درويش في هذا المقطع أنه سيبقى على خطى قول الشعر، لأنه في نظره النور الذي يقتبس منه شعلة للنجاة من قبو السجن وعجرفة السجان.

يرسم (درويش) صورة أخرى غير مباشرة للسجان، فدرويش قد أضحى سجيناً ومكيلاً في أرض بلاده، فلفظة مكبل، هي لفظة دالة على حبس الحرية، يقول درويش في قصيدته **"قصائد عن حب قديم:"**

ونعبر في الطريق مكبلين...

كأننا أسرى

يدي ، لم أدر، أم يدك

احتمت وجعاً

من الأخرى.[1]

فوجع درويش نابع من وجع بلاده التي، أصبح رفقتها أسير اليهودي.

يبرز درويش كذلك في قصيدته **"رشيد"**، صورة أخرى للسجان اليهودي، الذي يطارده ويشتري النار من صوته، فقد أضحى بسببه سجيناً في بلاده يقول:

وجاؤوا يشترون النار من صوتي

لأخرج من ظلام السجن...

[1] محمود درويش، عاشق من فلسطين، الأعمال الكاملة ، ص 214

ما أفعل؟ [1]

فالسجان يسعى دائماً إلى أخذ الاعترافات من السجناء بالقوة والتعذيب، ذلك أن التعذيب هو أنجع طريقة، لسل الاعترافات من ذوي النفوس الضعيفة، على عكس المجاهدين الأقوياء الذين يبرزون في مثل هذه المواقف قوتهم وبأسهم وشدتهم في ظل مواجهتهم لفكي السجّان.

يبوز (محمود درويش) في قصيدته **"تعاليم حورية"** ، من ديوانه لماذا تركت الحصان وحيداً، صورة أخرى للسجان اليهودي، إذ يجسد في إحدى مقاطع هذه القصيدة، أنه قد تغير عنوانه، لأن السجان الذي اعتقله وأوصد عليه أبواب الزنزانة جعل أمه تبحث عن عنوانه الجديد،

يقول درويش:

ويكفي أنّ تجيء رسالةٌ مني لتعرف أنَّ
عنواني تغيّر، فوق قارعة السجون، وأنَّ
أيَّامي تحوَّم حَوْلَهَا... وحيالها. [2]

فالسجن قد أصبح عنوان درويش الجديد، ولهذا فإن إعلام أمه عن عنوانه الجديد يتم عن طريق إرساله رسالة لها، فلا سبيل له غير ذلك، وقد وقع أسير زنزانة، أحالت نهاره ليلاً، وأيقظت هواجس الذكرى.

---

[1] المصدر نفسه ، ص233.
[2] محمود درويش، لماذا تركت الحصان وحيداً(الديوان)، ص 77.

تتجلى صورة أخرى للسجان اليهودي ، تبرز في قصيدته **"من روميات أبي فراس الحمداني"** إذ يجري درويش موازنة بينه وقد وقع أسيرا في يد اليهود ، وبين أبي فراس الحمداني الذي وقع أسيرا بين يدي الرومان،إذ يصور درويش أنه وفراس قد عانا وذاقا مرارة وعذابات السجن، وأن قسوة السجانين اليهود لا تقل ضراوة عن قسوة الروم، إذ يعتبر درويش أن اليهود هم روم جدد.

ويصف درويش في نفس القصيدة أمه وهي تنعت أحد السجانين بالشقي الدالة

على الاحتقار الموجه للكيان اليهودي الظالم يقول:

...في خميس الزيارات، ثقة ظلُّ

لنا في الممرّ، وشمس لنا في سلالِ

الفواكه، ثمة أمٌّ تعاتب سرَجَاننا:

لماذا أرَقت على العشب قهوتنا يا

شقيُّ؟ وثمَّة مِلْح يهب من البحر،

ثمة بحر يهب من الملح.[1]

يستحضر درويش في هذا المقطع زيارات أمه المتكررة، عندما كان يقبع في السجون الإسرائيلية،حيث يغيب كل شيء عن ناظريه،إلا أن مخيلته تنفتح وتبحر

للتعبير عن الألم الذي يعتصر قلبه.

[1] محمود درويش، لماذا تركت الحصان وحيدا (الديوان)، ص103- 104.

يضيف درويش في مقطع آخر من نفس القصيدة، صورة يجسد من خلالها الحالة التي آل إليها، وقد وقف السجان حائلا بينه وبين حريته فدرويش قد أصبح وحيداً، منذ أن سلب هذا الآخر حريته يقول:

زنزانتي صورتي لم أجد حولها أحدا

يشاركني قهوتي في الصباح،ولا مقعدا

يُشَاركُني عُزلَتي في المساء، ولا مشهداً

أشاركُهُ خيرتي لبلوغ الهدى

فلأكن ما تريد لي الخيل في الغزوات:

فإماّ أميراً

وإمّا أسيراً

وإمّا الردي ! [1]

يصف درويش في هذا المقطع أن اليهود مثل خيل الغزوات، وأن مصيره في ظل سطوتهم سيكون إما الأسر وأما الموت والهلاك.

ذلك أن هدف الغزاة هو إبادة وقمع الشعوب، إما عن طريق القتل أو الأسر.

إضافة إلى ما سبق، نجد أن صورة الآخر اليهودي المتمثل في السجان، تظهر في ديوان (محمود درويش) المسمى بـ **"حالة حصار"**، إذ يستحضر درويش صورة فردية لأحد السجانين اليهود يتجلى هذا حين يخاطبه بقوله:

[1] محمود درويش، لماذا تركت الحصان وحيدا(الديوان)،ص 105

" إلى حارس ": سأعلّمك الانتظارْ

على باب موتي المؤجّل

تمهّل، تمهّلْ

لعلك تسأم مني

وترفع ظلّك عني

وتدخل ليلك حرًّا

بلا شبحي ! [1]

يخاطب درويش السجان في هذا المقطع من خلال معجم لغوي، يحمل مختلف معاني القهر والحرمان التي مورست عليه من طرف السجانين اليهود.

ثم يرسم درويش صورة أخرى لحارس آخر ، إذ يقول:

"إلى حارس آخر" : سأعلمك الانتظار

على باب مقهى

فتسمع دقّات قليلة أبطأُ، أسْرعَ

قد تعرف القشعريرة مثلي

[1] محمود درويش، حالة حصار (الديوان)،ص68.

تمهّلْ،

لعلك مثلى تصفّر لحنا يهاجِرُ

أندلسيَّ الأسى، فارسي المداز

فيوجعك الياسمين، وترحل [1]

يجسد درويش صورة أخرى للسجان اليهودي من خلال مخاطبته،فضمير الأنت في هذا المقطع

يحيل إلى الآخر السجان الذي جعل من سجن محمود درويش ، مصدرا للقلق والألم

والقشعريرة، وجعله يعيش غربة السجن وحنين الاشتياق إلى الأهل وألم فراقهم.

توجه درويش في مقطع آخر بالخطاب إلى سجان ثالث يقول:

"إلى حارس ثالث": ساعلمك الانتظار على مقعد حجري، فقد

تتبادل أسماعنا فقد ترى شبها طارئ بيننا:

لك أم

ولي والدة

ولنا قمر واحد

[1] المصدر نفسه، ص 69

وغياب قصير عن المائدة [1]

يصور (درويش) في هذا المقطع السجان اليهودي، بأنه يحمل صفات مشتركة معه فدرويش له أم والسجان له أم، وكلاهما يعاني الابتعاد عن أهله، سوى ان درويش هو المحكم الأصفاد، فهو خاضع لسلطة هذا السجان، الذي يجبره على الجلوس فوق مقعد حجري.

وخلاصة القول إنّ (درويش) قد ذهب إلى تصوير الآخر اليهودي السجان من خلال تصويره لأوضاع السجن باعتباره قد مر بمثل هذه التجربة ، وقد كانت هذه الصورة سلبية، إضافة إلى رسمه لبعض الصفات التي يمتاز بها السجان اليهودي من قسوة وجبروت ،وقد عبرت هذه الصورة عن الألم الذي تركه الآخر اليهودي السجان في نفس درويش باعتباره دخل السجن في العديد من المرات.

خامسا: صورة القاتل:

ترد لفظة قاتل في معجم لسان العرب إذ " يقال هو قاتل الشتوات أي يطعم

فيها ويدفئ الناس،وقتل غليله:سقاه غزال غليله بالري.."[2]،فالقتل في الغالب هو الوسيلة

التي يتمكن من خلالها القاتل من تحقيق الانتصار لذاته في ظل مواجهته للآخر.

[1] محمود درويش،حالة حصار (الديوان) ،ص70.
[2] ابن منظور، لسان العرب، مادة قتل،م12، ص 22-23-24

وقد عايش (محمود درويش) الآخر اليهودي، وسمع عن مختلف الجرائم التي ارتكبها في شعبه، ومختلف المجازر التي تكل فيها بالفلسطينيين.

وهذا ما جعله يرسم صورة لهذا القاتل اليهودي، ثمنها معجمه اللغوي الزاخر بمختلف الألفاظ التي تدل على ذلك، فكيف بدت صورة الآخر اليهودي القاتل في أشعار محمود درويش؟

إن استنكار (محمود درويش) لمختلف المؤامرات والخطط التدميرية وحملات الإبادة التي شنتها جيوش الاحتلال الإسرائيلي اليهودي قد جعله يعبر عن مواقفه في ثنايا وسطور قصائده، مصورا من خلالها الآخر الذي يتجسد في صورة القاتل، وهذا ما يتجلى في مختلف القصائد التي ألفها خاصة في الدواوين التي نحن بصدد دراستها، إذ إن المتأمل في هذه القصائد يلقي ملامح عديدة حاول من خلالها (درويش) تجسيد صورة للآخر اليهودي القاتل.

إذ يصور (درويش) الآخر اليهودي بأنه قاتل ينصب الصليب لكل الفلسطينيين فرمز الصليب "هو رمز مسيحي كما هو معروف، ومحمود درويش قد انتبه مبكراً إلى هذه العلاقة بين رمز الدين المسيحي الصليب الذي قتل اليهود عليه المسيح كما يرى المسيحيون - وبين الواقع الفلسطيني الذي يقتل اليهود - كذلك- على صليبه النصر، ومصوراً في الفلسطينيين" [1]، يقول درويش واصفاً الصليب بأنه منبر للنصر ، ومصوراً في

الوقت ذاته اليهودي القاتل في قصيدته **"قال المغني"** :

[1] محمد فكري الجزار، الخطاب الشعري عند محمود درويش، ايتر اك للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط2، 2002، ص 268.

هكذا متّ واقفاً

واقفاً مت كالشجر

هكذا يصبح الصليب

مناوا... أو عصا نغم

ومساميره... وتر!

هكذا ينزل المطر

هكذا يكبر الشجر[1]...

وعندما يبرز درويش صموده في وجه الآخر القاتل، يشير إليه موضحاً ملمحاً من ملامحه، فالقاتل اليهودي، عندما يقتل الفلسطيني يجعل دمه مملحاً بالتراب يقول درويش في قصيدته **"صوت وسوط:"**

ودمي المملح بالتراب! ان جف كرمكم

يصير إلى شراب ! [2]

تعتلي خشب الصليب

شهيد أغنية.... وشمس[3].

[1] محمود درويش، عاشق من فلسطين، الأعمال الكاملة، ص166.
[2] المصدر نفسه، ص 169.
[3] محمود درويش، عاشق من فلسطين، الأعمال الكاملة، من 179- 180

فالآخر اليهودي القاتل، يخير الفلسطيني بين الانصياع لأوامره أو الموت تحت رحمته، فالذين صلبوا نبي الله المسيح في رأي درويش لا يصعب عليهم صلب الفلسطيني وإذلاله، فالفلسطيني أصبح يمثل صورة جديدة للمسيح المصلوب.

ويستمر (درويش) في نفس القصيدة في رسم صورة اليهودي على أنه يمارس قتل الفلسطينيين عن طريق صلبهم، إلا أن درويش قد اتخذ من هذا الصليب وسيلة لتحقيق النصر، فالصليب قد أصبح يمثل الأمل، يقول درويش:

ما كنت أول حامل إكليل شوك

لأقول: ابكي!

فعسى صليبي صهوة،

والشوك فوق جبيني المنقوش

بالدم والندى

إكليل غارْ[1].!

تستمر مثل هذه الصورة في قصيدته "من غابة الزيتون ، يقول درويش:

جاء الصدي...

وكنت مصلوبا على النار !

أقول العربان: لا تنهشي

[1] المصدر نفسه، ص 180.

فربما أرجع للدار

وربما تشتي السما

ربما...

تطفئ هذا الخشب الضاري. [1]

يطلق درويش في هذا المقطع صرخة في وجه القاتل اليهودي الذي لوث ثوب

أيامه وأرداه

حبيس صليبه الذي أضحى ملازما له في ظل قوة شوكة هذا العدو.

ويستحضر درويش صورة أخرى للقاتل اليهودي من خلال وصفه لبعض الموتى

الفلسطينيين، يقول في قصيدته **"خواطر في شارع"** : ؟

يا شارع الأضواء**!** ما لون السماء

من أين أعبر ، وصدور على الصدور

والساق فوق الساق، ما جدوى بكاني

أي عاصفة يفتتها البكاء؟ [2]

فدرويش يرى أن الانتصار على الآخر لا يكون، بواسطة البكاء، فالبكاء ليس حلا في

[1] محمود درويش، عاشق من فلسطين، الأعمال الكاملة، ص188.
[2] المصدر نفسه، ص 196.

نظره، وليس طريقا لتحقيق النصر يتجلى هذا في عبارة: " أي عاصفة يفتتها البكاء " ؟

وصور (درويش) أنّ اليهود القتلة يجيدون قتل الفلسطينيين والرقص على قبورهم يقول في نفس القصيدة :

لم أبع شيرا، ولم أخضع لضيم

للكهم رقصوا وغنوا فوق قبرك.

فلتتم

صاح أنا... صاح أنا...صاح أنا

حتى العدم. [1]

يصور درويش أنه لم يبع شبراً من أرض وطنه، في حين أن اليهود يقتلون أبناء وطنه ويرقصون على قبورهم، فالقتل عندهم، وسيلة تبعث على نشوتهم وفرحهم،فهنا تبرز عقدة الانتقام لدى اليهود حتى من الموتى.

أما في قصيدته ناي"، فهو يصور اليهود القتلة بأنهم رعاة في بلاده، يجيدون ويحترفون عزف مواويل القتل بقوله، مخاطباً إياهم:

لا تقتلوني أيها الرعاة

لا تعرفوا

[1] محمود درويش ، عاشق من فلسطين ، الأعمال ،ص198

خافوا علي الله

يستحضر درويش صورة أخرى للأخر القاتل، من خلال تذكره العذاب الذي عاناه في طفولته، يقول في قصيدته "**أهديها غزالاً** "، مبرزا صموده ضد هذا اليهودي القائل:

حرير شوك أيامي، على دربي إلى غدها

حرير شوك أيامي!

وأشهى من عصير المجد ما ألقى... لأسعدها [1]

وأنسي في طفولتها عذاب طفولتي الدامي

فدرويش قد عاش في طفولته مختلف أنواع القتل التي مارسها اليهود القتلة في حق أبناء شعبه،فهو يستحضر في هذا المقطع حالة الرعب التي اكتنفته عندما كان صغيرا،فهو قد شهد ذاك الهجوم الذي مارسه اليهود القتلة في حق أبناء بلدته في البروة،فدرويش قد عاني في طفولته عناء سماع أنين الرصاص وهلع الفزع والخوف.

يصور درويش في قصيدته "**شهيد الأغنية** " ، اليهودي القاتل بأنه وحش، يجيد القتل والنباح كالكلاب، وإخضاع الآخرين لسلطته، فهو آخر متسلط ومتجبر، يقول:

[1] محمود درويش، عاشق من فلسطين، الأعمال الكاملة ، 177.

قال نباح وحش:

أعطيك دربك لو سجدت

أمام عرشي سجدتين!

ولثمت كفي، في حياء، مرتين

أو...

استحلف الفحيح أن ينام في ألحانكم...

حتى أمرّ في سلام[1]

يحاول (درويش) من خلال هذا لمقطع إبراز أن اليهود القتلة لا يخافون الله، دعارة درويش

خافوا على الله ، يقصد من خلاها الاستهزاء باليهود، فهو يعلم علم اليقين أنهم لا يخافون أن ولا يحسبون له حساباً وهنا يبرز ذاك التماهي بين عقيدة الشاعر وعقيدة الآخر اليهودي ذلك أن لكلمة الله وزن تقيل في حياة شاعرنا باعتباره يدين بالإسلام، على عكس اليهودي.

تبرز في قصيدته **"رشيد"** صورة القاتل اليهودي الذي يتقن فنون القتل والتلحيد إضافة

[1] محمود درويش، عاشق من فلسطين، الأعمال الكاملة ، ص 201.

إلى نشر الجنائز في كل مكان ،فكل مقاوم فلسطيني يقف في وجه الآخر اليهودي القاتل

يتلقى القتل مباشرة، وتضاف جنازته إلى جنائز الموتى، يقول

درويش:

ولحن القيد

يجتزنا

ويحفر للذين يقاومون اللحد! [1]

ففي هذا المقطع يصور درويش، أن الوقوع في الأسر لدى اليهود ستكون نتيجته الحتمية هو الموت، والموت هنا هو إما موت حقيقي موت في الحياة، جراء العذاب الذي يتلقاه الفلسطيني.

يستحضر (درويش) في قصيدته **"أبد الصبار"** ا، صورة لأحد الفلسطينيين الذي قتل اليهود آباه، وربما بقصد درويش بالأب المسيح عليه السلام إذ أن كلمة صلب تربط في الغالب باسم المسيح، يقول درويش مستحضراً حادثة صلب اليهود المسيح وفق الرواية الإنجيلية قائلا:

تحسّس مفتاحه مثلما يتحسّس

أعضاءه، واطمأنّ، وقال له

وهما يعبران سياجا من الشوكِ:

[1] المصدر نفسه، ص 231.

يا ابنى تنكّو! هذا صلب الإنجليز

أباك على شوك صلبّوة ليلتين،

ولم يعترف أبداً. سوف تكبر يا

ابني، وتروي لمن يرثون بنادقهُمْ

سيرة الدم فوق الحديد[1].

يضيف (درويش) في قصيدته **"مصرع العنقاء"**، تصويراً آخر للقاتل اليهودي يبرز من

خلاله أن اليهود كاذبون في تعاملهم مع الآخرين وأنهم متغيرون ومزاجيون فالإنسان لا

يستطيع أن يأمن غدرهم، يقول درويش:

الغريبان اللذان احترقا فينا هما

من أراد كلنا قبل قليل

وهُمَا

من يعودان إلى سيفهما بعد قليل

وهما من يقولان لنا : من انتماء ؟[2]

فالغدر هو من أهم الصفات التي تميز اليهود القتلة فهم جبناء في مواجهتهم للفلسطينيين لكنهم بحيلهم ومؤامراتهم الدنيئة يتفوقون عليهم.

[1] محمود درويش، لماذا تركت الحصان وحيدا (الديوان)، ص33

[2] محمود درويش، لماذا تركت الحصان وحيداً (الديوان)، ص93.

أما في قصيدته **"حالة حصار"**، وهي القصيدة الوحيدة التي وردت في ديوانه حالة حصار، فإن درويش، في أحد مقاطع هذه القصيدة، يوجه خطاباً مباشراً للقائل اليهودي خطاباً صريحاً، فتح عن طريقه باب الحوار، صور من خلاله الآخر اليهودي القاتل، ورسم صورة تنبؤية لما كان سيقع، لو أن هذا القاتل اليهودي قد استحضر ما حصل له ولأمه، عندما كانوا ضحايا للنازيين، حسب رواياتهم، فهو يخاطب القاتل اليهودي قائلاً:

"إلى قاتل": لو تأملت وجه الضحيّة

وفكرت، كنت تذكرت أمّك في غرفة

الغاز، كنت تحررت من حكمة البندقية

وغيّرت رأيك: ما هكذا تستعاد الهوّية ! [1]

يقول درويش في هذا المقطع للقاتل اليهودي، أنه لو أجرى مقارنة بسيطة بين ما تعرضت له أمه من قتل وتشريد عن طريق النازيين، لتذكر أنه لا يختلف عن أولئك القتلة، الذين قتلوا أمّه اليهوديّة، فهم قتلوا أمه وهو في فلسطين قائل لأهلها ولشعبها ،فدرويش يبرز في هذا المقطع أن القاتل اليهودي قد جمع في قلبه كل حفل الأرض ، فهو متعطش للدماء ولا حدود لرغبة الانتقام التي تطريه وكذا سيطرة هاجس القتل والتدمير عليه.

يواصل (درويش) خطابه، موجهاً إياه إلى قاتل يهودي آخر قائلًا:

"إلى قاتل آخر" : لو تركت الجنين

[1] محمود درويش، حاله حصار (الديوان)، ص29

ثلاثين يوماً، إذا لتغيرت الاحتمالاتُ:

قد ينتهي الاحتلال ولا يتذكّر ذاك

الرضيع زمن الحصار ،

فيكبر طفلاً مُعافى، ويصبح شاباً

ويدْرُسُ في معهد واحد مع إحدى بناتك

تاريخَ آسيا القديم

وقَدْ يقعان معا في شباك الغرام

وقد ينجبان ابنةً **"وتكون يهودية بالولادة"**

ماذا فعلت إذاً؟

صارت ابنتك الآن أرملة

والحفيدة صارت يتيمة؟

فماذا فعلت بأُسْرَتِكَ الشاردة

وكيف أصَبْتَ ثلاث حمائم بالطلقة الواحدة. [1]

يصور درويش في هذا المقطع القاتل اليهودي بأنه قد كسر جميع الاحتمالات التي كانت ستقع، فلا جنين قد اكتمل نموه في بطن أمه، ولا كان هناك ارتباط

[1] محمود درويش، حالة حصار (الديوان)، ص30

بين فلسطيني ويهودية، فالقاتل اليهودي، بجرائمه، قد حطم كل الاحتمالات التي كانت . ستؤول إلى إحداث

مسلم بين الفلسطينيين واليهود.

يصف درويش في مقطع آخر عدد الضحايا التي يتسبب الآخر اليهودي القاتل في سقوطها، يقول ليدل على أنَّ القتل لدى اليهود حرفة امتهنوها:

خسائرنا من شهيدين حتى ثمانية

كل يوم،

وعَشَرَةُ جَرْحَىَ

وعِشْرُوُنَ بَيْتً

وخمسُونَ زيتونة. [1]

فالقاتل اليهودي، يعيث دماراً وفساداً في أي مكان تعلوه قدماء، إنه من دون قلب ومتجرد من كل القيم والأخلاق الإنسانية، فلليهودي لا يعير الأخلاق اهتماما إلا عندما يكون في حاجة إليها.

وخلاصة القول، إن (محمود درويش) قد رسم صورة سلبية للآخر اليهودي القائل، وإنّ هذه الصورة قد أضفت عليه صفات وصور منطقية،إذ إن القاتل

[1] المصدر نفسه، ص 38.

اليهودي قد بدا حاقداً وقاسياً ومن دون رحمة، فهو مستهتر ولا يعير اهتماماً لحقوق الإنسان بل إله يتقن حرفة واحدة هي القتل بكل برودة وعزف مواويل الألم والرعب والهلع في قلوب الفلسطينيين.

سادساً: صورة المثالي:

يعرف المثال في اللّغة بأنه " المقدار وهو من الشبه، والمِثْلُ ما جُعِلَ مثالاً أي مقداراً لغيره يُحذى عليه، والجمع المُثُلْ وثلاثة أمثلة... والمثالُ القالب الذي يقدَّر على مثله" [1]

فالمثال هو ذلك النموذج الذي يعتد به الآخرون، ويعتبرونه مثلا أعلى بالنسبة لهم يحذون حذوه ويرغبون في الوصول إلى الدرجة العليا التي يتمتع بها.

والآخر المثالي، هو ذاك الآخر الذي يمتلك مجموعة من الصفات والأخلاق الحسنة، التي تجعل منه بالنسبة للآخرين رمزا للنقاوة والرقي عن كل ما هو دنيء.

وقد كان للآخر اليهودي المثالي حضور بين ثنايا قصائد (محمود درويش) خاصة في دواوينه المتطرق إليها فكيف صور محمود درويش الآخر المثالي في أشعاره وما هي أهم الصفات التي أضفاها عليه في هذا التصوير ؟

[1] ابن منظور، لسان العرب، مادة مثل، 143، ص 19

على الرغم من حدة الصراع، الذي نشبت نيرانه بين الفلسطينيين واليهود، وعلى الرغم من قساوة وبشاعة الآخر اليهودي في مختلف معاركه التي خاضها في وجه الفلسطينيين، إلا أن درويش قد جسد صورة مثالية للآخر اليهودي، خصَّ بها بعض النماذج من الجنس اليهودي.

تتجلى صورة الآخر المثالي في شعر (محمود درويش)، في قصيدته **"تشيد"** متجمدة في شخص أحد أنبياء اليهود وهو حبقوق، إذ يقول درويش مصوراً هذا الآخرعلى أنه آخر مثالي، وقوله:

مع حبقوق

ألو ... هالوا

أموجود هذا حبقوق؟

نعم من أنت؟

أنا يا سيدي عربي

وكانت لي يد تزرع

تراباً سرمدته يدا وعين أبي

وكانت لي خطى وعباءة...

وعمامة ودفوف

وكانت لي...

كنى يا ابني

على قلبي حكايتكم

على قلبي سكاكين[1].

وظف درويش في هذا المقطع رمز حبقوق وهو " أحد أنبياء اليهود ذاك الذي عاتب ربه على الظلم وقلة العدل وكثرة المجور في بني إسرائيل وهو صاحب رؤيا قدوم الكلدانيين وسببهم لليهود. "[2]

نجد أن (درويش)، يستحضر هذا النبي في قصيدته مستغيثا به من اليهود فهو يبث إليه أشجانه ويشكو إليه أحزان شعبه المضطهد جراء ظلم اليهود، وقسوتهم وتبرز مثالية حبقوق في ردّه على درويش بصيغة العطف والشفقة، إذ تجد أنه بعد أن عرف درويش بنفسه وبدأ يشكو له ما حلّ به وبشعبه، يقاطعه (حبقوق) ويبدي له الوجه اليهودي الطيّب الرافض لما يمارس في عصرنا الحالي من ظلم وعدوان فقصة فلسطين والفلسطينيين هي خناجر تطعن قلب (حبقوق) النبي الإسرائيلي.

إن حبقوق الذي يمثل رمز السلام، لم يعد يرغب في سماع قصة الظلم اليهودي للفلسطينيين ولهذا فإننا نجده في الختام يقاطع الإنشاد.

وهذا ما يبرز في قول درويش على لسان (حبقوق):

كفى يا ابني.

[1] محمود درويش، عاشق من فلسطين، الأعمال الكاملة، ص233

[2] عمر أحمد الربيحات، الأثر التوراتي في شعر محمود درويش، ص 65

على قلبي حكايتكم

على قلبي سكاكين.[1]

وقد يمثل (حبقوق) رمزاً لبعض اليهود، الذين يمقتون الظلم ورمزاً للذين يعترفون بالجرائم التي يقترفها اليهود في حق الشعب الفلسطيني.

ولهذا تجد ان درويش قد حاول صفل صورة الرافضين من اليهود لمختلف الأعمال غير الإنسانية بطابع رمزي تجمد في شخص (حبقوق) النبي الإسرائيلي درويش من خلال إطلاعه على ثقافة الآخر اليهودي قد وجد ارتياحا النبي حبقوق ولهذا رأى فيه النموذج الاستثنائي لليهود.

تتجسد في قصيدة "عندما يبتعد ، صورة أخرى للآخر المثالي، الذي يتمنى درويش في قرارة نفسه لو أن جميع اليهوديين، يعترفون بالكيان الفلسطيني ويعتبرونه شعباً يمكن التعايش معه دون سفك الدماء يقول درويش مصوراً أحد الجنود اليهوديين:

للعدوّ الذي يشرب الشاي في كوخنا

فرسٌ في الدخان، وبنتٌ لها

حاجبان كثيفان. عينان بنيتان.

[1] محمود وريش، عاشق من فلسطين، الأعمال الكاملة، ص 233.

وشعر طويلٌ كليل الأغاني على الكتفين، وصورَتَها

لا تفارقهُ كلما جاءنا يطلب الشاي، لكنّهُ

لا يحدّثنا عن مشاغلها في المساء، وعن فرس تركته الأغاني على قمة التل... [1]

يصور (درويش) هذا الآخر بأنه يملك مشاعر الأبوة، فهو يحن إلى ابنته ويشتاق إليها، إضافة إلى أن درويش يعمد في هذا المقطع إلى وصف ابنة هذا الجندي اليهودي وصفاً

دقيقاً، مصوراً أهم الملامح والصفات الجسدية لها.

يضيف درويش في نفس القصيدة مقاطع أخرى تجمد صورة لهذا الآخر المثالي الذي يجد في منزل وأكواخ الفلسطينيين الأمان كما أنّه، يتصف بصفات تقارب صفات أهل هذا الكوخ، فهو يحنو على فرو القطة، ويقدم اعتذاراً ضمنيا لأهل الكوخ يتجلى كل هذا في

قول (محمود درويش) :

...في كوخنا يستريح العدو من البندقيّة،

يتركها فوق كرسي جدي، ويأكل من خيرنا

مثلما يفعل الضيف، يغفو قليلاً على

[1] محمود درويش، لماذا تركت الحصان وحيدا(الديوان)، ص164.

الخيزَران، ويحنو على فَرْوِ

قطّتنا، ويقول لنا دائماً:

لا تلوموا الضحية!

نسأله: من هي؟

فيقول: دمٌ لا يجففه الليلُ... [1]

يعرض درويش في هذا الموقف صورة أحد جنود اليهود الذي يعمل في صفوف العدو، إلا

أن هذا الآخر يختلف عن البقية، إنه آخر يحمل صفات إنسانية، لقد صوره درويش بجوهره

الإنساني.

يواصل (درويش) في هذه القصيدة إبراز ملمح آخر من ملامح هذا الآخر المثالي،

المتمثل في أحد الجنود اليهوديين يقول على لسان الجندي:

... لن تنتهى الحربُ ما دامت الأرضُ

فينا تدور على نفسها!

فلتكن طيبين إذا، كان يسألنا

أن تكون هنا طيبين، ويقرأ شعراً

[1] محمود درويش، لماذا تركت الحصان وحيداً (الديوان)، ص165.

لطيّار "بيتس" : أنا لا أحب الذين

أُدَافِعُ عنهم، كما أنني لا أعادي

الذين أحَارِبُهُمْ

ثم يخرج من كوخنا الخشبي.[1]

يصور درويش هذا الآخر، لطيفاً لا يكره أبناء شعبه ولا يحتقرهم، فمثل هذه الصورة تدل على الراحة النفسية التي كان يشعر بها درويش تجاه بعض اليهود،فهذا الجندي في نظر درويش هو مثل الجندي الذي تحدث عنه في قصيدته جندي يحلم بالزنابق البيضاء،فدرويش لم يكن متعصبا تجاه الآخر.

ومجمل القول إن صورة الآخر المثالي في دواوين (محمود درويش)، المتطرق إليها كانت إيجابية،و قد تجلت أساساً في صورة النبي الإسرائيلي (حبقوق) الذي يمتاز بالطيبة والشفقة على أفراد الشعب الفلسطيني.

كما تتجلى صورة الآخر المثالي، في صورة أحد الجنود الذي يرفض مختلف الممارسات التي أجبر من طرف قادته على القيام بها، وهذا الآخر يمتاز بمشاعر الطيبة والاشتياق إلى ابنته، كما يمتاز بحسن المعاشرة والتعايش مع الفلسطينيين. ومن هنا فإنّ الآخر المثالي في نظر درويش، هو ذلك الآخر الذي يشعر ويحس بمقدار المأساة التي يتسبب فيها قادة اليهود في فلسطين في ظل حربهم

[1] محمود درويش، لماذا تركت الحصان وحيدة (الديوان)، ص 166-167.

المزعومة من أجل استرجاع الأرض.

وخلاصة القول إنّ (محمود درويش) قد نسج للآخر اليهودي العديد من الصور قمرة يتجلى في صورة العدو المتمثل في السلطة الاستعمارية ومرة يتجلى كتعبير عن تجليات هذه السلطة إذ يتمظهر في صورة المنفى.

كما تتجلى صورة الآخر اليهودي في صورة الجندي والسجان والقائل إلا أن هذا لا يلغي أن درويش قد أضفى على الآخر اليهودي صورة مشرقة تجلت أساساً في صورة (حبقوق) وأحد جنود اليهود.

كما أن درويش قد عمد إلى توظيف بعض الرموز التوراتية في رسمه لصورة الآخر اليهودي، كحبقوق ويهوشع بن نون، كما وظف بعض الرموز التاريخية كبونابرت، وتوظيف درويش للرموز التوراتية، يتم عن الثقافة التي يتمتع بها الشاعر كما أن توظيفه لهذه الرموز قد أدى دوران الأول هو إدانة الآخر اليهودي بمختلف الجرائم التي ارتكبها والثاني هو إبراز بعض النماذج المثالية في الشعب اليهودي.

الخـــاتـــمـــة

الخـــاتمـــة:

تم بفضل الله إكمال هذا العمل المتواضع، الموسوم بصورة الآخر اليهودي في شعر محمود

درويش، والذي بحثت في ثناياه عن الصـورة التـي حـاول درويش أن يترجم من خلالها

أهم صفات ومميزات الآخـر اليهودي، على اعتبار أنه يمثل أحد شعراء المقاومة

الفلسطينية، وقد تم تسجيل مجموعة من النتائج،تذكر منها:

- كانت الانطلاقة والبدايات الأولى لدراسة صورة الآخر في الأدب المقارن مع الباحثين

والأدباء الفرنسيين الذين مهدوا لظهور هذا الفرع من الدراسات.

- استطاعت الصورة الأدبية أن توصل جذورها ضمن مباحث الأدب المقارن، على الرغم

مماّ وجه لها من إنتقادات ، شككت في مشروعية إنتمائها إليه .

- كان للآخر في الآداب الأجنبية والعربية حضور قوي، وقد اختلفت صورته باختلاف

العصور والبلدان ، وطبيعة الآخر الذي تم الاحتكاك به سما ولد صورة مميزة عنه، اختلفت

باختلاف الرؤية الأدبية التي حاول الأديب،أن يجسدها في أعماله الأدبية الشعرية أو

الروائية على السواء.

على الرغم من الحضور المكثف للآخر في الأدب الفلسطيني كالآخر اليهودي والآخر

الغربي والأمريكي وحتى الأخر العربي،إلا أن الآخر اليهودي والأمريكي قد مثلا معا

الوصف المناسب للآخر في فلسطين .

- تجلت صورة اليهودي عند محمود درويش في صور نمطية ظلت منذ أمد بعيد تكرر

نفسها على مستوى اللاشعور تمثلت فيما يلي :

1 -صورة العدو: تميزت بأنها سلبيّة وقاتمة وهي موازية لنفسية الشاعر المتعبة

والمنهكة ومثل هذه الصورة نابعة من اللاشعور الجمعي والقومي الدرويش.

2 -صورة المنفى: ترسم درويش صورة سلبية للآخر اليهودي الذي برز في صورة

المنفى وقد تجلت في شعره من خلال تصويره لذاته، وتصوير ما آلت إليه الأوضاع في فلسطين.

3 -صورة الجندي:برز الجندي اليهودي في شعر محمود درويش في صورة سلبية إذ تمثل أساسا في صورة الآلة الردعية فقد كان بمثابة الواجهة الحربية فهو يطبق أوامر قادته.

4 -صورة السجان وقد كانت سلبية إذ صور درويش الآخر اليهودي السجان من خلال

تصويره لأوضاع السجن باعتباره قد مر بمثل هذه التجربة،ومن خلال رسمه البعض

الصفات التي يمتاز بها السجان من قسوة وجبروت.

5 -صورة القاتل:أضفى محمود درويش على الآخر اليهودي القاتل ،صفات منطقية إذ إنّ اليهودي القاتل قد بدا حاقدا وقاسيا ومن دون رحمة ، وهو مستهتر لا يعير اهتماما لحقوق الإنسان بل إنه يتقن حرفة واحدة هي القتل بكل برودة.

6 -صورة المثالي: نسج درويش صورة أخرى إيجابية للآخر اليهودي وقد تجلت هذه

الصورة من خلال توظيفه لبعض الرموز التوراتية، كحبقوق وهو ما رسم صورة مثالية

للآخر اليهودي في النفس الدرويشية.

-على الرغم من بروز صورة الآخر اليهودي في شعر محمود درويش في صورة سلبية

وأخرى إيجابية إلا أن الصورة السلبية قد عليت على صورة اليهودي وقد نتجت هذه

الصورة نتيجة الصراع اليهودي الفلسطيني المحتدم على أرض فلسطين.

المـــلـــحق

أولا: التعريف بمحمود درويش

ثانيا: أهم مؤلفات محمود درويش

ثالثا:الجوائز والتكريمات التي حصل عليها

أولا: التعريف بمحمود درويش:

محمود سليم حسين درويش، هو أحد الشعراء الفلسطينيين ولد في مارس 1941 في البروة المدمرة في الجليل بفلسطين اعتقل أكثر من مرة من قبل السلطات الإسرائيلية، " وهو ثاني أكبر إخوة وثلاث أخوات ،وكان في السابعة من العمر عندما حصلت النكبة عام 1948 ،وتشرد الفلسطينيون مع إعلان دولة إسرائيل " [1]

احتل الجيش الإسرائيلي قريته البروة فاضطر إلى مغادرتها إلى لبنان ليقضي فيها مدة عام كامل هم عاد إلى فلسطين،عاش لفترة قصيرة في قرية دير الأسد في الحليل،قبل أن يستقر في قرية الجديدة المجاورة لقريته البروة.

" في عام 1964 التحق بالحزب الشيوعي الإسرائيلي، راكاح ،حيث اختلط العرب واليهود وعمل فيه محررا لصحيفته،ومشرفا على تحريرها ،كما اشترك في تحرير جريدة الفجر ،وعدد من الصحف مثل الاتحاد والجديد"[2]

منعت السلطات الإسرائيلية درويش من الدراسة في إسرائيل فقرر دراسة الاقتصاد السياسي في موسكو عام 1972، أقام في القاهرة لعدة سنوات" لينتقل بعدها إلى العديد من العواصم العربية والأوروبية شاغلا المناصب الإعلامية المرموقة والمواقع السياسية الرفيعة [3]

[1] نواف الزرو ، محمود درويش وداعا المؤسسة العربية للدراسات والنشر سيروت لبنان ط1،ص15

[2] المرجع نفسه، من 15.

[3] هاني الخير موسوعة أعلام الشعر العربي، محمود درويش رحلة عمر في دروب الشعر دارفليتس للنشر والتوزيع، المدية الجزائر ،ط1،2008،ص16

عاش في بيروت من عام 1973 إلى سنة1982م،عمل رئيسا لتحرير مجلة شؤون فلسطينية،ثم مديرا لمركز أبحاث منظمة التحرير الفلسطينية أسس بعد ذلك مجلة الكرمل مسنة 1981م متزوج من رنا قباني ابنة أخ الشاعر السوري نزار قباني «غير أنها تركته لتحصل على شهادة الدكتوراه من جامعة كمبردج ثم تزوج لنحو عام، في منتصف ثمانينيات القرن العشرين من مترجمة مصرية،حياة الهيني »[1]

ثانيا :أهم مؤلفات محمود درويش:

مجموعة عصافير بلا أجنحة عام،1960(شعر)

- عاشق من فلسطين 1966(شعر)
- آخر الليل1967(شعر)
- يوميات جرح فلسطيني 1969 (شعر)
- العصافير تموت في الجليل 1970 (شعر)
- حبيبتي تنهض من نومها1970(شعر)
- مطر ناعم تحت خريف بعيد 1971 (شعر)
- شيء عن الوطن1971(نثر)
- أحبك أو لا أحبك 1972(شعر)
- محاولة رقم 7 ، 1973 (شعر)

[1] نواف الزرو محمود درويش وداعا ص 18

- يوميات الحزن العادي 1973(خواطر وقصص)
- وداعا أيتها الحرب وداعا أيها السلام 1974(مقالات)
- تلك صورتها وهذا انتحار العاشق 1975(شعر)
- اعراس 1977 (شعر)
- منبح الظل العالي 1983(شعر)
- حصار لمدائح البحر 1984(شعر)
- هي أغنية هي أغنية1986(شعر)
- ورد أقل 1986 (شعر)
- ذاكرة للنسيان 1987 (نثر)
- في وصف حالتنا 1987 ش)
- مأساة النرجس ملهاة الفضة 1989(شعر)
- أرى ما أريد1990(شعر)
- الرسائل بالاشتراك مع سميح القاسم 1990 (نثر)
- عابرون في كلام عابر 1991(مقالات)
- أحد عشر كوكبا1992(شعر)
- لماذا تركت الحصان وحيدا 1995(شعر)

-سرير الغريبة 1999(شعر)

-جدارية2000 (شعر)

-حالة حصار 2002(شعر)

-لا تعتذر عما فعلت 2004(شعر)

-كزهر اللوز أو أبعد 2005(شعر)

-في حضرة الغياب 2006(نص)

-حيرة العائد 2007(نثر)

-أثر الفراشة 2008 (شعر)

وبعد موته صدر ديوانه الأخير لا أريد لهذه القصيدة أن تنتهي 2009(شعر).[1]

ثالثا :الجوائز والتكريمات التي حصل عليها:

لقد حصد محمود درويش، عددا من أهم الجوائز هي:

"- جائزة لوتس، عام 1969.

-جائزة البحر المتوسط، عام 1980.

-درع الثورة الفلسطينية، عام 1981.

-لوحة أوروبا للشعر،عام 1981.

-جائزة ابن سينا في الاتحاد السوفييتي،عام 1982.

[1] للتوسع ينظر : نواف الزرو، محمود درويش وداعا ،ص229

- جائزة لينين في الاتحاد السوفييتي،عام1983.
- الصنف الأول من وسام الاستحقاق الثقافي، تونس 1993.
- الوسام الثقافي للسابع من نوفمبر 2008 تونس.
- جائزة الأمير كلاوس الهولندية، عام 2004.
- جائزة سلطان العويس، عام 2004.
- جائزة القاهرة للشعر العربي، عام 2008.

جائزة الركانة العالمية للشعر من المغرب، عام 2008 .[1]

كما أعلنت وزارة الاتصالات الفلسطينية في 27 يوليو 2008، عن إصدارها طابع بريد، يحمل صورة محمود درويش،وقد ترجمت أعماله لأكثر من عشرين لغة. رحل هذا الشاعر العظيم،يوم السبت 9 اوت 2008،في أحد مستشفيات تكساس في جنوب الولايات المتحدة.

[1] نواف الزرو محمود درويش وداعا ص230.

قائمة المصادر والمراجع:

*القرآن الكريم

أولا: قائمة المصادر

1. سميح القاسم، شعر، الأعمال الكاملة، دار الجيل، دار الهدى، بيروت، لبنان، ط1،1996م

2. الطاهر وطار، رواية اللاز، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية للنشر والتوزيع، الجزائر، د.ط،2007.

3. فدوى طوقان، الديوان، دار العودة، بيروت، لبنان، ط1،1978م.

4. المتنبي، الديوان، دار صادر بيروت، لبنان، ط2،2008.

5. محمود درويش، الأعمال الكاملة، إعداد إسلام ابراهيم، دار العودة بيروت، لبنان د.ط،د.ت.

6. محمود درويش، ديوان حالة حصار، دار رياض الريس للكتب والنشر، بيروت، لبنان، ط2،2002.

7. محمود درويش، ديوان لماذا تركت الحصان وحيدا، دار رياض الريس للكتب والنشر بيروت، لبنان، ط4،2009.

8. مفدي زكريا، اللهب المقدس، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر د.ط،2009.

ثانيا: قائمة المراجع:

1-المراجع العربية:

9. ابراهيم رماني، المدينة في الشعر العربي، الجزائر نموذجا(1925،1962)، صدر عن الجزائر عاصمة الثقافة العربية الجزائر د.ط،2007.

10. إبراهيم محمود عبد الباقي، الخطاب العربي المعاصر، المعهد العالمي للفكر الإسلامي للنشر والتوزيع، هوند فرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية ، ط1،2008.

11. أحمد درويش ، نظرية الأدب المقاري وتحلياتها في الأدب العربي دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة مصر د.ط

12. أحمد النعيمي، الأفاق الإنسانية في الآداب والفكر، دار الياروري العلمية للنشر خالد عبد الرؤوف الجبر، غواية سيدورى، قراءات في شعر محمود درويش، دار جرير

13. سعد فهد الدويخ، صورة الآخر في الشعر العربي من العصر الأموي حتى نهاية العصر العباسي، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد، ط2009 ،1.

14. أحمد فؤاد أنور، تاريخ اليهود من تشويه الأنبياء إلى 11 سبتمبر/دراسة، الراية للنشر والإعلام، د.طاد.ت. والتوزيع، عمان، الأردن د. ط،2008.

15. تهاني شاكر، محمود درويش ناثرا(نقد أدبي)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1،2004.

16. جان نعوم طنوس، صورة الغرب في الأدب العربي المعاصر، دار المنهل
اللبناني بيروت، لبنان، ط1،2009

17. حفيظة أحمد، بنية الخطاب في الرواية الفلسطينية(دراسة نقدية)، منشورات مركز أو غريب الثقافي، رام الله، فلسطين، ط1،2007.

18. سالم المعوش شعر السجون في الأدب العربي الحديث والمعاصر، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط1،2008.

19. سعيد علوش، إشكالية السيارات والتأثيرات الأدبية في الوطن العربي(دراسة مقارنة)، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء، المغرب، ط1،1996.

شريبط أحمد شريبط دراسات ومقالات في الأدب الجزائري، منشورات المكتبة الوطنية الجزائرية د.ط،2007

20. صلاح عبد الفتاح الخالدي، الشخصية اليهودية من خلال القرآن (تاريخ، سمات، ومصير)، شركة الشهاب الجزائرية للنشر والتوزيع جاب الواد، الجزائر، ط1،1978.

21. الطاهر أحمد مكي، الأدب المقارن، أصوله وتطوره ومناهجه، مكتبة الآداب للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط4،2002.

22. طلال حرب، رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.د.ت.

23. طه المتوكل، صورة الآخر في الشعر الفلسطيني (1994،2004)، صدر عن الشعار، رام الله، فلسطين، ط1،2005

24. طه ندا، الأدب المقارن، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان. د.ط دت.

عادل الأسطه، أوراق مقارنة في الأدب الفلسطيني، دراسة د.ط،2009

25. عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، مكايد يهودية عبر التاريخ، دار القلم للنشر، دمشق، بيروت، ط2،1978

26. عبد القادر الغزالي الصورة الشعرية وأسئلة الذات، قراءة في شعر حسن نجمي، دار الثقافة، مؤسسة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، ط1،2004.

27. عمر أحمد الربيحات، الأثر التوراتي في شعر محمود درويش، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، عمان، الأردند.ط،2006.

28. غسان كنفاني، الأدب الفلسطيني المقاوم تحت الاحتلال،(1948-1968)، مؤسسة الدراسات الفلسطينية للنشر والتوزيع بيروت، لبنان،ط1،1968

29. فـاد قديل، أدب الرحلة في التراث العربي، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، مصر ، ط2،2002

30. فتيحة كحلوش بلاغة السكـان في مكانية الشعري، بيروت، لبنان، ط1،2008

31. لطيف ريـوني، معجم مصطلحات نقد الروايـة النهار للنشر، بيروت، لبنان، ط1،2002

32. ماجد سليمان دودين المترجم الأدبي، مكتبة المجمع العربي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1،2009والتوزيع، مصر، ط3، دست

33. محمد فكري الخطاب الشعري عند درويش، للطباعة

34. محمد القاسمي، حسن السعيدي قضايا النقد الأدبي، عالم الكتب الحديث، اريد الأردن د.ط، صر الدين البحرة نفسية اليودي في مطيعة عكرمة، سورية 1،2000 والتوزيع بيروت لبنان 4،2009

35. ماجدة حمود، مقاربات تطبيقية في الأدب دراسة منشورات الكتاب محمد غنيمي هلال الأدب المقارن نهضة مصر للطباعة والنشر العرب دمشق سورية د.ط،2000، والتوزيع، القاهرة، مصر 2،2002

36. منير سعيد، على الانتفاضة المباركة معج زة العشرين، مؤسسة الإسراء للنشر، قسنطينة الجزائر، ط2، 1990.

37. زهال مه يدات، الآخر الرواية السوية العربية ، عالم الكتب للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2008

38. نواف الزور، محمود درويش وداعا، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت، ط1، 2008.

39. أقنان القاسم، مسألة الشعر والملحمة الدرويشية، عالم الكتب، بيروت ط1، 1987

40. محمد فكري الجزار، الخطاب الشعري عند محمود درويش، ط1، 2001

41. هاني الخير، موسوعة أعلام الشعر العربي الحديث، محمود درويش، رحلة في دروب الشعر، دار فليتس للنشر والتوزيع، المدية، الجزائر،

ط1،2008.

2-المراجع المترجمة:

42. إسرائيل شاحاك، التاريخ اليهودي الديانة اليهودية وطأة ثلاثة آلاف سنة، ترجمة صالح علي، بيسان للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1،1995.

43. بيير بروتيل وآخرون، ما الأدب المقارن، ترجمة عبد المجيد حنون وآخرون، دار البهاء للنشر والتوزيع، قسنطينة، الجزائر، ط1،2010.

44. ج.تورنلي،ج. روبرتس، الأدب الإنجليزي من البدايات في القرن السابع عشر إلى ثمانيات القرن العشرين، ترجمة أحمد الشويخات، دار المريح للنشر، الرياض السعودية د.ط،1990.

45. جيلا رامراز، رايوح، العربي في الأدب الإسرائيلي ترجمة نادية سليمان حافظ، إيهاب صلاح محمد فايق، المجلس الأعلى للثقافة، د.ط،2000.

46. دانيال هنري ياجو، الأدب العام والمقارن، ترجمة غسان السيد، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سورية، د.ط،1997.

47. ريجينا الشريف، الصهيونية غير اليهودية، جذورها في التاريخ الغربي ترجمة أحمد عبد الله عبد العزيز المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب للنشر، الكويت، د.ط،1985.

48. ول وايريل ديورانت، قصة الحضارة عصر الإيمان الحضارة اليهودية مترجمة محمد برران، 4/ج3، دار الجيل للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، د.د.د.ت.

49. مجموعة من المؤلفين تاريخ الآداب الأوروبية مترجمة صياح الجهيم، ج3، منشورات وزارة الثقافة، ج. ع.س، دمشق، د.ط.

ثالثا: القواميس والمعاجم:

50. إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، ج 1، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، استانبول، تركيا، ط2،1972.

51. الحليل بن أحمد الفراهيدي كتاب العين، تح: عبد الحميد هنداوي ، م1 ، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط دت.

52. ابن منظور الســان العرب، 1، دار صـادر للطباعة والنشـ ر والتوزيع بيروت، لبنان، ط3،2004

رابعا: المجلات:

53. مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة قسنطينة الجزائر، العدد8،2007.

54. مجلة جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة الجزائر، العدد 24،2007.

55. مجلة العلوم الإنسانية، جامعة بسكرة، الجزائر، العدد2009

56.Jordan journal of modern languages and literature vol; 4no, 1.2012.

خامسا: الرسائل:

57. خديجة العايب، الأنا والآخر في الخطاب الروائي العربي، موسم الهجرة إلى الشمال للطيب صالح أنموذجا، مخطوط مذكرة ماستر، جامعة أم البواقي، الجزائر،2010-2011.

58. محمد أيوب، الشخصية في الرواية الفلسطينية المعاصرة في الضفة الغربية وقطاع عر (1967-1993)، مخطوط مذكرة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، 1996

59. مي عودة أحمد ياسين، الآخر في الشعر الجاهلي، مخطوط مذكرة ماجستير، جامعة النجاح العليا، نابلس فلسطين،2006.

سادسا: المواقع الإلكترونية:

60. ويكيبيديا الموسوعة الحرةhttp:www.wikipedia.org/wiki

فـــهرس المـــحتويـات

الموضـــــــوع	رقم الصفحة
المـــقدمـــــــة	أ- و
المدخل: الصورة الأدبية في الأدب المقارن.	07
أولا: بدايات دراسة صورة الآخر في الأدب المقارن	07
ثانيا: وسائل تلقي صورة الآخر	17
1 أدب الرحلة	21-18
3 -الاستشراق	23-21
4 -الترجمة	24-23
5 -الحروب	24
ثالثا: حالات فهم الآخر	26
1 - الصورة السلبية	28-26
2 - الصورة الإيجابية	29-28
رابعا: إشكالية دراسة الصورة	31-29
الفصل الأول: تمظهرات صورة الآخر في الآداب الأجنبية والعربي	32
أولا: صورة اليهودي في الأدب الأوروبي	47-34
ثانيا: صورة العربي في الأدب الإسرائيلي	51-47
ثالثا: صورة الآخر في الأدب العربي	63-51
رابعا: صورة الآخر في الأدب الفلسطيني	73-63

الفصل الثاني: تحولات صورة الآخر اليهودي في شعر محمود درويش	74
-أنماط الصورة الشعرية عند محمود درويش	75
أولا: صورة العدو	78
ثانيا: صورة المنفى	101-78
ثالثاً: صورة الجندي	119 -112
رابعاً: صورة السجان	129-119
خامساً: صورة القاتل	142-129
سادسا: صورة المثالي	149-142
الخاتمـــة	153-151
الملحـــق	155
أولا: التعريف بمحمود درويش	155
ثانيا: أهم مؤلفات محمود درويش	158-156
ثالثا: أهم الجوائز التي حصل عليها	159-158
قائمة المصادر والمراجع	167-160
فهرس المحتـــويـــات	169-168